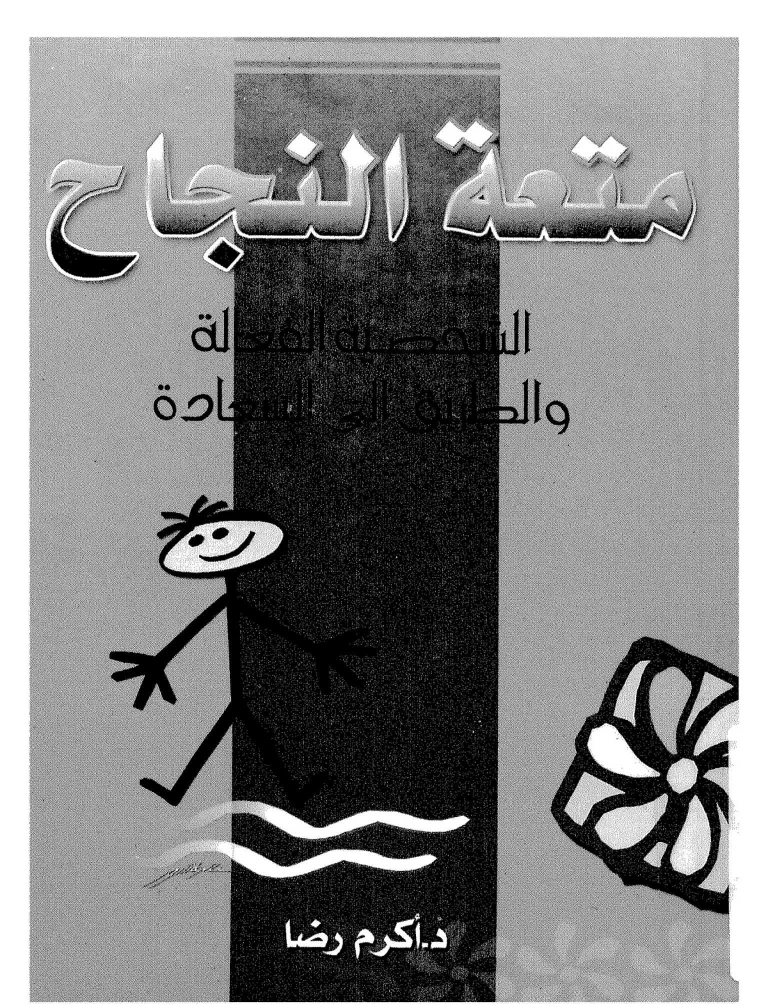

متعة النجاح
الشخصية الفعالة
والطريق إلى السعادة
د.أكرم رضا

منحة 2006

SIDA

السويد

سلسلة إدارة الـــذات

(٥)

متعة النجاح

الشخصية الفعالة والطريق إلى السعادة

د. أكـــرم رضـــا



الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

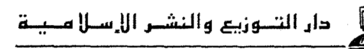
رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٥٠٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977 - 265 - 494 - 6

الإخراج الفني / عبد الحميد عمر

مراجعة لغوية/ محمد عبد المعطي



مصـــــر - القاهـــرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بور سعيد ت : ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة : ٨ ميدان السـيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

إهداء

إلى كل الباحثين عن النجاح.. المنطلقين إلى القمم؛ حتى نعلم معنى السعادة

تذكروا...

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

د. أكرم رضا

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الغاشية: ٨ - ١٠)

كثيرًا ما اشتكى الناجحون من عدم شعورهم بالسعادة؛ فقد كان النجاح يعتمد على المزايا الشخصية.

ولكن عندما اكتشفوا أن النجاح لا بد أن ينبع من المزايا الأخلاقية، من الذات وليس من الشخصية، عندما أصبح الانطلاق من الداخل...

يومها شعر الناجحون أنهم سعداء.

(ستيفن كوفي)

العادات السبع لأكثر الناس فاعلية



هــذا الكتــاب حلقــة مــن حلقــات إدارة الذات، ولكنه في نفس الوقت يـرتبط ارتباطًـا أساسيًّا مع الكتـاب الأول في السلسـلة (**إدارة الذات دليل الشباب إلى النجاح**) فيعتبر جـزءًا ثانيًا له وإن كنا هناك قـد بينـا خطـوات عشـر سريعة للشباب من أجل أن يرتقي بذاته ليصل إلى النجاح، فإننا هنا سـنقف معهـم عنـد أول محطة من محطات النجاح نتساءل: **لماذا لا نشعر بالسعادة على الرغم من النجاح؟**

المفترض أن النجاح هـو قاعـدة السـعادة، فلماذا نرى إجابة الكثير مـن النـاجحين: إننـا لسنا سعداء بالقدر الكافي؟ **إذا فنحن نحتاج إلى أن نعرف العلاقة بين السعادة والنجاح.**

وفي البداية: نريد أن نعرف ما النجاح؟

وهل هناك علاقة بين السعادة والرضا؟

وهل الرضا ينافي الطموح؟

وما التوكل؟ وهل ينافي الإيجابية؟

وهل هناك فَرْق بين النجاح والتعبير القرآني عنه (الفلاح)؟ ثم ما موقع القيم والمبادئ والأخلاق من ذلك كله؟

هل السعادة تنبع من الارتباط بالقيم والمبادئ، أم أننا نستطيع أن نكون سعداء ونستمتع بالنجاح بِغَضٍّ النظر عن الوسيلة التي حصلنا بها على هذا النجاح؟

عندما ننتهي من هذه الحلقة من حلقات (إدارة الذات) سندرك بوعي أنه عندما نبدأ الإدارة من الداخل... عندما نتعامل مع الذات نكتشفها، نقودها، ننميها، عندها يكون النجاح مصدرًا للسعادة، عندها سنتذوق -ولأول مرة- متعة النجاح.

المرجعية

ثم إن هناك أمرًا مهمًّا عن مرجعية هذه الأفكار... وأحب أن أنقل من مقدمة الجزء الأول من السلسلة (إدارة الذات - دليل الشباب إلى النجاح) ما يعبر عما أود قوله:

«**التجربة خير دليل**».. هكذا يقول أهل الخبرة عندما يضعون تجاربهم بين أيدينا لنستفيد منها، ولقد تقدم أهل الحضارات الأخرى في سباق دراسة النفس الإنسانية لَمَّا وجدونا -نحن أهل الحضارات السماوية- قد تركنا هداية ربنا.

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: «وللفطرة في بلاد

الإسلام كتاب يُتْلَى، ودروس تُلْقَى، وشعوب هاجعة».

نعم، الكتاب بين أيدينا، وفطرة الله في قلوبنا، ولكننا سئمنا البحث والسعي، فانطلقت حضارات بلا هداية من كتاب، ولا رشاد من وحي تبحث في النفس البشرية وقدراتها، فنجحت أحيانًا عندما تجردت للبحث، وفشلت كثيرًا لابتعادها عن الوحي.

وصدق الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- عندما صاغ ذلك في حكمة جميلة فقال: «وصدق مَنْ قال: الناس رجلان، رجل نام في النور، ورجل استيقظ في الظلام».

ويقول -رحمه الله- في كتابه القَيِّم (جَدِّدْ حياتَك) الذي قَرَّب لنا به كتاب الباحث الاجتماعي الأمريكي **ديل كارينجي (دع القلق وابدأ الحياة)**، من خلال قراءة قرآنية قَرَّب فيها البحث الإنساني الجاد إلى الوحي الإلهي الصادق: «ونتاج الفطرة الإنسانية في البلاد المحرومة من أشعة القرآن الكريم نتاج واسع متفاوت القيمة. والانحطاط الفكري في البلاد المحسوبة على الإسلام يثير اللوعة، واليقظة العقلية في الأقطار الأخرى تثير الدهشة».

ثم يقول: «ولا يحملنا على العزاء إلا أن هذه اليقظة صدى الفطرة التي جاء الإسلام يعلي شأنها، أمَّا تخلف المسلمين فسببه الأول تنكرهم لهذه الفطرة السليمة، وتخاذلهم عن السير معها».

لقد استطاعوا إدارة ذاتهم، فنجحوا في كثير من الأحيان على

الرغم من عدم وجود الوحي بين أيديهم، ونحن -ومعنا الوحي- فشلنا؛ لأننا لم نجعله لنا قدوة.

هم استغلوا كل القدرات التي وضعها الله فيهم، فنجحوا في تحقيق أهدافهم في الدنيا، ونحن عطَّلنا قدراتنا، وأدرنا للوحي الهادي ظهرنا ففشلنا، وصدق الله العظيم حين قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

ولذلك لا يستطيع باحث في هذا المجال أن يتنكر للجهد الضخم والإنتاج الوافر الذي أنتجته تجارب الغرب في مجال النفس والمجتمع والإدارة والقيادة وغيرها. ثم بالتجوال في تراثنا -الذي يحتاج لإعادة تنسيق- نجد كأن النبع واحد، ولا يستطيع أن يكذبني أحد إذا قلت: إن الكثير من هذه الأفكار التي صاغتها الحضارة الغربية تحتاج إلى تراثنا؛ لِنَقْص فيه قد تجد استكمالا له في مثل هذا البحث.

فما الذات؟ وكيف تديرها؟

قالوا عن الذات: إنها اتجاهات الشخص ومشاعره عن نفسه.

وقالوا: إنها العمليات النفسية التي تحكم السلوك.

أما التعريف الأول: فخصُّوا به (موضوع الذات).

والتعريف الثاني: أرادوا به (عمل الذات).

وقــد نقــول عنهــا: «إن الــذات هــي معرفتــك لقــدراتك، واستخدامك الأمثل لهذه القدرات». وهذا هو ما نقصده بقولنا: إن الطريق الأمثل للنجاح هو إدارة الذات.[١]

والأفكار الأساسية لهذا الكتاب تجدها في صفحات قليلة مـن مقدمة كتاب الباحث الاجتماعي الأمريكي ستيفن كوفي *Stephen R. Covey* في كتابه (العادات السبع لأكثر الناس فاعلية)

« *The Seven habits of highly effective people*

وقد شدني للاهتمام بهذه الأفكار حكاية سوف أحكيهـا لكـم بعد قليل، المهم رأيت أن هـذه الأفكـار تحتـاج إلى إعـادة صـياغتها ولكن بلغة حضارتنا، وبهدي دستورنا، وتجربة قدوتنا ﷺ... ومـن خلال الفهم الواعي لذلك كله، والذي أنتج قممًا شـامخة في أمتنـا على مر العصور.

نحن نحتاج لقراءتين.. قراءة لماضينا واعيـة مدركـة للفـرق بـين قواعد الوحي وتطبيقات الرجال.. وقراءة للحضارات من حولنا لا نبهر بوميضها عن رؤية حفرة عقدية أو منـزلق أخلاقـي.. ولا بـد أن نملأ قلوبنا بأننا أمة الهداية وأمة الشهادة..

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

---

(1) يراجع كتاب (إدارة الذات دليل الشباب إلى النجاح) للمؤلف.

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

فعلينا أن نستكمل كل مقوِّمات هذه المهمة لنكون مؤهلين لأن نصبح خير أمة، ونصل إلى المقام الذي يجعلنا أهلا ليخرجنا الله للناس مرة أخرى **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [آل عمران: ١١٠]

فهذه مقومات الخروج إلى الناس، وهذا هو وعد الله به، وهذه ملامح العودة الحضارية؛ أن نكون -بحد أدنى- شهودًا لا غائبين أو مغيَّبين عن إسهامات الكون من حولنا.

أما الحكاية.. فهي في المقال التالي الذي نشرْتُه منذ شهور على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، فهيا لنتعرف عليها..

د. أكرم رضا مرسي





السِّفن هبتس والديانتكس

أعتذر في البداية -عزيزي القارئ- عن هذا العنوان الذي يتضح أنه كتابة عربية لألفاظ إنجليزية، وأراك تريد أن تعرف مني الآن الْمبرِّر لهذا التَّصرف، الذي أعلم أننا متَّفقون منذ أول كتاب لي وقع بين يديك على التميز كأمة، والانتماء للدين، والتفرد باللغة، وإن كُنَّا لَمْ نُنْكر مجهود الآخر ولم نلفظه بالكامل، بل ندرك مواطن النجاح عنده وأيضًا مواطن الفشل.

أقول: أنت تريد مبرِّرًا لكتابتي العنوان بهذا الشكل، وتريد أن تعرف الحكاية.

الديانتكس ✡

الحكاية بدأت عندما نشرت الجرائد المصرية أن مباحث أمن الدولة في مصر تمكَّنت من القبض على إسرائيلي وزوجته العربية يروِّجان لفكر منحرف يضاد الأديان، واعترفا بتلقي تدريبات وتوجيهات في تل أبيب لنشر دعوة أو ديانة جديدة، ظاهرها الصفاء الذهني والنفسي، والسمو الروحي،

وباطنها شيء آخر.[١] وأنهم يوزِّعون كتابًا لترويج هذا الفكـر، اسمه: (الديانتكس)، وعندها تذكَّرت أني وقفت طـويلا أمـام هذا الكتاب في معرض الكتاب الدولي الذي أُقِيم في القـاهرة عام ٢٠٠١م في (سرايا إيطاليا)؛ حيث الجناح الفخم الـذي لا يحتوي إلا على هذا الكتاب، وكان ثمنه عندها ٢٥جنيهًا!

وأمام العنوان العجيب لهذا الكتـاب، والتعليقـات والإعلانات المنتشرة في أرجاء الجنـاح الـتي كانـت تدور حول القوة النفسية التي يعطيها هـذا الكتـاب جعلتني أتردد في شرائه، ثم جذبتني عناوين أخـرى أكثر وضوحًا فلم أشترِ الكتاب.[٢]

ثم تداعت الذكريات حول (اليوجـا) كمصـدر للقـوة النفسـية وحل المشـكلات وتسـهيل الحيـاة، وكيفيـة انتشـار وازديـاد أعـداد المؤمنين بهـا. وبعـد قـراءة بسـيطة في مفرداتهـا ومعرفـة مصـدرها وتاريخها، أجد أنها مناسك وعبادات يؤديها أصحابها الأصليون.

---

(١) راجع مقال الأستاذة سكينة فؤاد (حرب الدايتتكس)، جريدة الأهـرام، العـدد الصـادر في ١٤مارس ٢٠٠٢م.

(٢) بسؤال أحد الأصدقاء عرفت أن هذا المذهب منتشر في أوروبا، وقد طردتـه ألمانيـا مـن أرضها وحاكمته لمخالفته النصرانية... ومنشأه أحد اللوردات الإنجليز في أواخر القرن التاسع عشر... وهو مجموعـة أفكـار تقـوم علـى بعـض التركيـزات العقليـة وتمـارين التصفية النفسية، وله عدة مواقع على شبكة الإنترنت.

ثم تذكرت ذلك العدد الضخم من الأمريكيين والأوروبيين الذين يؤمنون (بالبوذية)، والتي تقوم على التأمل والصمت، وتذكرت -أيضًا- تلك الموجة من التفكير التي اجتاحت العالم الغربي، والتي تقوم على فكرة الروحية، وتحضير الأرواح، والتعامل مع العالم الآخر، والتي لها آلاف الجمعيات في الغرب عامة وأمريكا خاصة.

وفكرة أخرى تُسمَّى (*LNP*) وهي اختصار لكلمات ترجمتها **(البرمجة اللغوية العصبية)**، والتي تقوم أساسًا على التأمل والحديث الداخلي، وأيضًا علاج المشكلات والأرق بالإيحاء النفسي.(١)

كل هذه الذكريات تداعت أمامي كخطوط مُوَجَّهة إلى الصورة الأساسية لتكوِّنَ مجموعة أسئلة:

لماذا ينتج الغرب ويتبع ذلك الكم الهائل من الأفكار التي تتعامل مع النفس والعاطفة والغيب أو ما يسمى عندهم بالميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة)؟ ثم لماذا تجد هذه الأفكار سوقًا رائجًا في بلادنا تلك، التي كفتها الرسالات السماوية -وعلى رأسها الإسلام- عبء التعامل مع النفس والروحانيات والغيب؟

---

(١) Neuro _ Linguistic Programming وقد قدمها للعربية الدكتور/ محمد التكريتي في كتابه (آفاق بلا حدود - بحث في هندسة النفس الإنسانية)، وكان موفقًا في استعراض الفكرة مما أضفى عليها قبولا ومعقولية.

وقد أجد إجابة عن السؤال الأول؛ حيث إن هذه الأفكار تتمدد في الفراغ العقدي في المجتمعات الغربية حيث عدم القناعة بما لديهم من اعتقاد، ثم التِّيه الناتج عن ذلك بعد البحث الفاشل عن اعتقاد، إلا أن السؤال الثاني يظل علامة استفهام كبيرة تبتسم استهزاء أو سخرية.. ثم يطرح سؤالٌ آخر نفسه؛ كيف نحمي أنفسنا، وبأي شيء نتحصن من ذلك القصف المتواصل للأفكار؟ بل وأكثر من ذلك؛ كيف نميِّز بين الخبيث والطيب منها، حتى لا يخدعنا الخبيث، وتفوتنا فائدة الطيب؟[1]



وتعود الذكريات إلى السبعينيات؛ حيث كنا نتبادل كتب المؤلف الأمريكي (ديل كارينجي) ونوصي بقراءتها؛ مثل: (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس)، و(دع القلق وابدأ الحياة).

حيث لم نكن نجد في مثل هذا المجال مَنْ يؤلِّف لنا بلغتنا ومن منطلق ديننا، وقد ارتضينا أن نجلس* في مقاعد التلاميذ ونحن الأساتذة.

---

(١) أخبرني أحد أصدقائي – وهو مهندس يعمل في شركة كمبيوتر كبرى بكندا– أنه استمع إلى الكثير من المسلمين بعد قراءة أمثال تلك الأفكار يقولون: «لم نعد في حاجة إلى دين أو وحي؛ فإن أمثال هذه الأفكار أثبتت أن العقل البشري قادر على إقرار مجموعة مبادئ نستطيع أن نعيش بها في أمان نفسي واجتماعي قد لا يوفره غموض الدين وغيبياته!!».

وإذا بنا وفي نهاية الثمانينات نسمع أن هـذا الرجـل مـات منتحـرًا[١]!!! وتعجبنـا؛ كيـف يعمـل هـؤلاء في هدايـة النفـوس، وتتحطم نفوسهم عند أول تجهم لوجه الحياة؟!

السفن هابتس

وتتوالى الأسئلة، وإذا بذكرى أخرى تنبعـث مُلِحَّـة علـيَّ، وهي تجربة شخصية لي... بعد كتابـة أول كتـاب لـي في هـذه سلسلة (إدارة الذات)، وإيماني أن البدء من الذات هو الأَوْلَى، وأن سبيل النجاح لا بُدَّ أن تبني له قاعدة انطلاق داخلية.

وجدت في بريدي دعوى من إحدى الشـركات المحترمـة، والتي تقوم على التنمية البشرية إلى حضـور دورة تدريبيـة بعنـوان: **(الانطلاق من الـداخل)** في أحـد الفنـادق الكـبرى، ووجـدت أن العنوان يحمل نفس الفكرة التي آمنت بها، فقررت الاشتراك في هذا البرنامج التدريبي.

وفي اليوم الأول من ثلاثة أيام هي عمر البرنامج وقف المدرِّب يعـرض علينـا الفكـرة، وأن صـاحبها أمريكـي، ويُـدْعى (سـتيفن كوفي). (*stephen R. cove*)

(١) سمعت هذا الخبر في شريط كاسيت للشيخ عائض القرني، ثم تأكد لـي مـن أكثـر مـن مصدر بعد ذلك، وأنتظر مَنْ يؤكِّده لي بالوثائق أو يكذِّبه.

وفي عرض انبهاري ملفت للنظر يستعرض معنا المدرب تاريخ حياة صاحب الفكرة (ستيفن كوفي)، والذي التقى به المؤلف شخصيًّا ودرس الفكرة على يديه، وأخذ تصريحًا (إجازة بلغة علمائنا المسلمين) بتدريسها والتدريب عليها.

وانطلقت الكلمات الهائمة مِنْ فم المدرب حول هذا (المفكّر) -وهذه أقل كلمة قالها الرجل فيه- ثم حول الطائفة الدينية التي ينتمي إليها[1]، ومزايا هذه الطائفة وعقائدها وأخلاقها، وكيف أنهم يحرِّمون كذا ويُحِلُّون كذا، ويتزوجون بشكل كذا، ويتعاملون بشكل كذا.

وهنا شعرت أني أمام دين جديد يُعْرَضُ عليَّ، وداعية لهذا الدين ينطلق في خشوع وإيمان لِيُبَشِّرَ بعقائده، فرفعت كفي في أدب بعد أن استشعرت خللا ما، فابتسم المدرِّب لي معاتبًا أني أخرجته من ابتهالاته الخاشعة، وسمح لي بالكلام.

فقلت له محاولا تهدئة انفعالي:

حضرتك سوف تلقي علينا عقائد أم مبادئ؟

نظر إليَّ متعجبًا، فأكملت:

أنا مسلم ولي عقيدة أعتز بها، والسيدة الفاضلة (وأشرت

---

(١) المؤلف Stephen R. Cove من طائفة المورمون في أمريكا.

إلى إحدى السيدات الحاضرات والتي أعرفها) مسيحية وتعتز بعقيدتها، وأظن أننا لن نُغَيِّر عقيدتنا لمجرد حضور برنامج تدريبي.

ثم وجَّهت كلامي إلى السيدة أمامي قائلا:

هل تنوين التنازل عن مسيحيتك يا سيدتي؟

أشارت برأسها سَلْبًا... قلت:

وأنا كذلك.. نحن جئنا يا أستاذ لنحصل على مبادئ لا عقائد، جئنا لنتعلم تجربة حياة لا رسالة نبي.

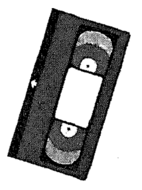
تفهَّم المدرب المسلم وجهة نظري بسرعة عجيبة، وانطلق في برنامجه التدريبي الذي أعترف هنا -على الرغم من كل ما سبق- أنه كان أكثر من رائع، وكان بعنوان: (العادات السبع للنجاح).

(The Seven Hapits For Highly Effective People)

والحقيقة بهرني فكر الرجل، وترتيب المبادئ عنده، وشغلتني الفكرة طويلا حتى وجدت ترجمتين للكتاب باللغة العربية[1]، فحصلت عليهما ومع ضيق الوقت واتساع دائرة معارفي واشتغالي بالتدريب الإداري والنفسي وجدت أنه ما مِنْ شركة كبيرة في مصر إلا وقد حصلت نسبة كبيرة من موظفيها على هذا البرنامج

(١) ترجمة الدكتور الدسوقي عمار بعنوان: (عادات النجاح السبع)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م. وترجمة هشام عبد الله بعنوان: (العادات السبع للقادة الإداريين)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٩٨م.

التدريبي، بل وهناك شركة كبيرة في مصر تحمل وكالة لترويج هذه الفكرة والتدريب عليها.



ثم وجدت أحد الدعاة المشهورين يضع مجموعة من شرائط الكاسيت حول هذه العادات السبع،[1] والمشتهرة على ألسنة الناس باسم: (السفن هبتس) وحصلت على شرائط باللغة الإنجليزية عنها موجَّهة إلى الشباب.

ذ وأعود من سِجِل الذكريات إلى ذلك الخبر الذي ذكرته من قبل ويدور حول (الديانتكس)، لأجد أن علامة الاستفهام قد جاورتها عشرات من العلامات الحائرة، وحتى لا يسارع أحد في اتهامي بروح المؤامرة والانهزام الحضاري، والتقوقع الفكري وغيرها من الاتهامات، أعيد عليكم سؤالي: كيف نميِّز بين الخبيث والطيب في أفكار الآخرين؛ حتى لا يهلكنا الخبيث، أو يفوتنا خير الطيب؟

كيف نأمن مِنْ تسلل المبادئ إلى أماكن العطش الناتج عن جفاف الاجتهاد في عقولنا وقلوبنا، فتنمو لتثمر اتباعًا للآخر، قد يصل بنا إلى ترويج فكره كأنه دين؟!

---

(١) الدكتور طارق السويدان، مجموعة شرائط بعنوان «دعوة للنجاح» ستة شرائط في عشرة ساعات ونصف، في حوار مع أبي زايد، قرطبة للإنتاج الفني – الرياض- ١٤١٩هـ.

كيف نأمن ألا تتحول هذه المبادئ البشرية الْمُحْكَمة الصياغة إلى بديل عن معتقداتنا وأخلاقنـا، وتجـد لهـا مكانًـا آمنًـا في منـاطق التفريغ الحضاري عندنا؟!

كيف نحتفظ بهويتنا ورسالتنا بعد أن نزعنا عنهما الكثير مـن قِيمِهما المؤثِّرة، بـل ووضـعنا العوائـق أمـام قيامهمـا بمهمتيهمـا في حياتَنا، ثم فتحنا الأبواب أمـام فكـر الآخـر الـذي أجـاد عرضـه، وصقلته التجربة، ولم يبقَ لنا إلا الاتباع؟

ثم قلت لنفسي وأنا ألقي بالجريدة جانبًا:

مَنْ نلوم إذا وجدنا مِنْ شبابنا مَـنْ يتبـع (الـديانتكس) ويـدعو لهـا، كمـا كـان للوجوديـة والماركسـية والعلمانيـة والهيبيـز وعبـدة الشيطان أتباع ودعاة؟

أقول لكم: لست منهزمًا حضـاريًّا، أو مصـابًا بـداء المـؤامرة، ولكني مرعوب من ضعفنا وهزالنا أمام قوى الآخر، فهل مِنْ عودة لنكون أقوياء؟!

عودة إلى السفن هبتس

وَعُدْتُ إلى العادات السبع للنجاح، وأعدت قراءة وسمـاع كل ما يتعلق بها عندي، وسألت نفسي:



أليست الحكمة ضالة المؤمن؟!



- أليست هذه المبادئ فيها خير؟!
- ألسنا بعيدين كل البعد عن مثلها؟!
- أليست لدينا المرجعية التي نستطيع أن نقيس عليها الأمور؟!

وكانت علامات الاستفهام تتلاشى شيئًا فشيئًا أمام (نعم).

- وكان سؤالي الأخير: لِمَ لا نعرض هذه الفكرة مِنْ خلال وجهة نظرنا المبنية على قيمنا وعاداتنا وديننا؟

◄ وكانت الإجابة: ولِمَ لا؟ لقد عرضت تجربة **(قطار الأفكار)** التي أخذتها عن **(أنتوني باور)** في كتابي (لقاء الجماهير)، واستعنت بالكثير من المراجع الأجنبية في كتابي **(بلا ندم)**.►

بل وفي سلسلة (أولادنا) عن البلوغ والمراهقة وكتبي الأخرى، والفرق الوحيد أني هنا سأعرض فكرة رجل واحد قد أستعين بغيره في توضيح الفكرة، ولكن الفكرة فكرته.

وأمامي التجربة الوحيدة الرائدة في عصرنا الحالي لِمَا أريد أن أُقَدِّم؛ وهي تجربة شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- في كتابه: **(جدد حياتك)** تعليقًا على كتاب **(دع القلق وابدأ الحياة)** للمؤلف الأمريكي **(ديل كارينجي)**.

أصدقائي الشباب: هل عرفتم ما الحكاية؟

بقي أن أؤكد أن الفكرة الأساسية لهذا الكتاب مقتبسة عن (ستيفن كوفي) في مُؤَلَّفِه القيِّم **(العادات السبع لأكثر الناس فاعلية)**، أعرضها هنا كمبادئ وليست كدين، كمهارات حياة وليست كطقوس عبادة، كفكر وليست كأيديولوجية، كدعم ومهارات وليست كبديل لديننا وقيمنا التي لا نرضى عنها بديلا.

أعرضها كمنهج لقراءة الآخر والتعرف عليه، ولكن هذا من خلال منهجية ديننا الإسلام.. أعرضها -كمؤمن بديني الحق- للمؤمنين مثلي والذين لا يرضون به بديلا.. وأعرضها لغير المؤمنين بالإسلام أو المتشككين من قدرته على إدارة الحياة كفكر يستحق أن يراجعوا أنفسهم أمامه ليضبطوا الفكر البشري على ميزان الوحي الإلهي حتى نضيق دوائر الخلل.

كانت هذه هي الحكاية

وأعود إلى مقدمة كتاب (إدارة الذات) لأختم بها هذه الوقفة.. يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) في مقدمة كتابه **(جدد حياتك)** الذي ناقش فيه كتاب (دع القلق وابدأ الحياة): «إذا كان ديل كارنيجي يحيا بقرائه في جو أمريكي بحت، فمن واجبي أن أعيش مع قرائي في جوٍّ عربي خالص، لا أتركه إلا للمقارنات الإنسانية الأخرى».

هذا ما قاله الشيخ (رحمه الله)، وأظن واجبًا أن أقتدي به هنا.

أليس كذلك؟

عشر خطوات أخرى

كانت العشر خطوات الأولى في الكتاب الأول (إدارة الذات) في الطريق نحو النجاح كالآتي:

الخطوة الأولي: وضوح الهدف (كل الأضواء على هدفك).

الخطوة الثانية: التفكير الجاد في الهدف (هدفك حقيقة وليس خيالا).

الخطوة الثالثة: اتخاذ النموذج المناسب (أفضل التعب أن تحصل على قدوة).

الخطوة الرابعة: الثقة بالنفس (لا تفقد مصدر الطاقة).

الخطوة الخامسة: التفكير الإيجابي المنطقي (إبداع ومنطقية أم أحلام؟).

الخطوة السادسة: التخطيط (عليك بمفتاح العملية الإدارية).

الخطوة السابعة: التعلم (طريقك إلى الاحتراف).

الخطوة الثامنة: الصبر والثبات (السفينة).

الخطوة التاسعة: المثابرة (دقات القلب).

الخطوة العاشرة: القدرة على الاستمتاع بالوقت (اجعل حياتك ممتعة).[1]

---

(1) راجع الكتاب الأول من هذه السلسلة (إدارة الذات) .. (دليل الشباب إلى النجاح)، ص١٩.

أما هذه العشر في هذا الكتاب (متعة النجاح) فهي في الطريق إلى السعادة، وكثيرًا ما اشتكى الناجحون من عدم شعورهم بالسعادة؛ عندما كان النجاح يعتمد على المزايا الشخصية.

ولكن عندما يكتشفوا أن النجاح لا بد أن ينبع من المزايا الأخلاقية، من الذات وليس من الشخصية.. عندما يصبح الانطلاق من الداخل، يومها يشعر الناجحون أنهم سعداء.

السعادة



وعندما نصيغ عنوان هذا الكتاب على هيئة سؤال.. ما متعة النجاح؟

أظن أن الإجابة تكون (السعادة)، ولم يرد في القرآن الكريم التعبير بلفظة النجاح عمَّا نقصد من معنى السعادة، ولكن وردت لفظة السعادة في موقعين في سورة هود كمضاد لكلمة الشقاء...

يقول تعالى عن يوم القيامة: **﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود:١٠٥-١٠٨].

فالسعادة هي الْمُحَصِّلة النهائية لعمل الدنيا؛ فقد يكون هناك ناجح وسعيد ومصيره يوم القيامة -كما بينت الآيات- في الجنة ينعم في عطاء غير مقطوع (مجذوذ)، وقد يكون هناك في الدنيا ناجح وشقي ومصيره يوم القيامة أيضًا كما بينت الآيات في النار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٦- ١٠٧]

ومن معنى السعادة وموقعها في الدنيا ومصيرها في الآخرة - الذي وضحه القرآن الكريم خير توضيح- يبدو لنا جيدًا كيف يكون النجاح متعة.

➤ الإجابة ببساطة: عندما يصل بنا إلى الجنة، عندما يكون مبنيٌّ على قواعد من رضى الله.. عندما يكون مبني على أسس من اطمئنان النفس.. عندما يكون مبني على أعمدة من العدل مع الناس.

إن النجاح لا يكون متعة ولا يُوصل إلى السعادة إلا إذا كان مصدره القيم ...

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف:١٠٣- ١٠٤].

الفائـــزون

وأقرب الكلمات القرآنية لمعنى النجاح كلمة (الفوز) ... وقد وردت في القرآن (١٦) مرة، ووردت مشتقاتها (١٣) مرة، وذلك في عشرين سورة من سور القرآن الكريم.. وأكثر الآيات التي تدل

على معنى الفوز الذي يقصده القرآن هو قوله تعـالى: ﴿كُـلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْـزِحَ عَـنِ النَّـارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وواضح أن الفوز هو نتيجة أكبر من النجاح في الدنيا، مع أنـه ناتج عن السعي فيها؛ بل هو الأجر المرتقب لذلك السـعي؛ حيـث أن هذا السعي له نهاية محتومة ﴿كُـلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَـةُ الْمَـوْتِ﴾، وأن الحياة الدنيا بذلك ليست نهاية المطـاف إنهـا هـي مجـرد ﴿مَتَـاعُ﴾، وهذا المتاع مشكوك في حقيقته، وقد يكون وَهْمًا.

وبناءً عليه فكل نجاح دنيوي لا صلة له بفوز يـوم القيامـة هـو ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، متاع ناقص واهم.

ولم يُذْكَرِ الفوز كنجاح دنيوي إلا علـى لسـان المنـافقين (وهـو فتنة سوف نتحدث عنها بعد قليل)..

ولكن نشير هنا إلى موقفهم حيث البطء والتباطيء عن عمـل الخير، فإذا وقع أهل الخير في مشكلة فرحوا، وإن فازوا بعطاء دنيوي إذا بهـؤلاء المنافقين يسارعون في محاولة أخذ جزء منه ويندمون على تركه.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ على إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَـا لَيْتَنِي كُنْـتُ مَعَهُـمْ فَـأَفُوزَ فَـوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢ – ٧٣].

ولكن مفهوم (الفوز العظيم) الذي فهمه هؤلاء المنافقون مفهومًا مغلوطًا؛ فليست الدنيا مكان الفوز العظيم، وأي فوز دنيوي ينال عظمته من اتصاله بالآخرة.

فهيا ننتقل إلى مشهد من مشاهد الآخرة لنرى الفريقين وموقعهما من الفوز العظيم.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٢- ١٣].

أرأيتم السعداء؟ لهم نور في الآخرة وبشرى وفوز، أما الآخرون فهم يبحثون عن نور في يوم تشتد فيه الظلمة، فيقال لهم: ارجعوا إلى الدنيا فابحثوا عن ذلك النور الزائف الذي كنتم فيه، ابحثوا عن تلك اللمعة المغشوشة التي كان الناس ينبهرون بها، ابحثوا عن النجاح بلا سعادة.[1]

(١) لا يعني الاستدلال بموقف المنافقين هنا اتهام لأحد بالنفاق، ولكنه صورة تعبر عن سلوك البشر عندما يكون الداخل مخالفًا للخارج فيظنون أنهم يخدعون الناس، ولكنهم يخدعون أنفسهم؛ حيث إن النتيجة المرتقبة عندهم وهي (الفوز) ليست مصدر السعادة، وإنما هو فوز زائف مخالف لفوز الصادقين المنطلقين من إيمانهم؛ حيث السعادة الحقيقية.

المفلحون:

وهــذه هــي اللفظــة الثانيــة المعبِّـرة عــن متعــة النجــاح في القــرآن الكــريم، وتَنْصَــبُّ بالكليــة علــى الإدارة مــن الــداخل وتنمية الأخلاق والمبادئ الداخلية، فيقول تعـالى: ﴿**قَـدْ أَفْلَـحَ مَـن تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَـا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس:٧-١٠].

وافعلوا الخير:

وقد بَيَّن سبحانه أن أمنية الفلاح ومتعة النجاح لا تتحقـق إلا باتجاه كامل إلى الله يصب في النهاية الخير على الخلق في الدنيا..

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُـوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧].

ومن أكبر الأمثلة على السلوكيات التي تنبع من سلوك الفـلاح ترك الربا، وهو جرم اقتصادي.. وترك شرب الخمر ولعب القِمَار، وهما جريمتين نفسيتين واجتماعيتين..

يقول تعـالى: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لاَ تَـأْكُلُوا الرِّبَـا أَضْـعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وهكذا فإن النجاح ليس هدفًا مجردًا، إنما تظهر قيمته وأثره على صاحبه عندما يستمتع به، والسبيل الوحيد للاستمتاع به أن يكون نجاحًا مربوطًا بالآخرة متداخلا سلوكياته المؤدية إليه في الدنيا مع هدفه الأساسي في الآخرة.. فليس هناك نجاح مقطوع عن نظر الله إليه. ليس هناك نجاح لمجرد الالتزام بمجموعة مبادئ قد يتفق عليها الناس، ولكن من يصدق فيها؟!

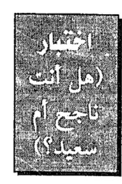
والآن .. راجع نجاحك..

- عندما تستشعر أنك في حاجة للسلام مع النفس فراجع نجاحك..
- عندما تجد أن علاقاتك بالآخرين قد فقدت روحها وأصابها السقم (فراجع نجاحك)..
- عندما يكون نجاحك الوظيفي الناتج من تخطيطك الجيد، ونجاحك في تطبيق الخطة ثمنه حياتك الشخصية والعائلية (فراجع نجاحك)..

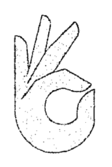
- عندما تسأل نفسك يومًا: هل كان الأمر يستحق كل هذه التضحيات؟! (فراجع نجاحك)..
- عندما تستكمل كـل أدوات الإدارة الفعَّالـة، وتتوقـع أن تجني الكثير ممن تقودهم في إدارتك، ثم لا تشعر بولائهم للعمـل، وأنهـم فاقـدو الشـعور بالمسئولية (فراجـع نجاحك)..
- عندما تحضر دورات إدارة الوقت، وتجـرب العديـد مـن أسـاليب التخطـيط، وتتعامـل مـع عشـرات مـن نمـاذج تخطيط الوقت، ثم لا زلـت تشـعر أنـك مضـغوط، وأن الوقت لا يكفي، وأن التوتر هو الغالب على تصـرفاتك (فراجع نجاحك)..
- عندما تكـون ناجحًـا، ولكـن تستشـعر نـارًا في داخلـك بسبب نجاح الآخرين (فراجع نجاحك)..
- عندما تتمتع بشخصية قوية، وتستطيع أن تفـرض رأيـك على الآخرين بالإقناع والتـأثير، ولكنـك لا زلـت غـير مســتريح لــرأيهم في شخصـــك وأفكــارك (فراجــع نجاحك)...

- عندما تتمنى أن يتعلم أولادك قيمة العمل وتخطو خطوات في ذلك، ولكنك تستشعر القلق فتسارع لمعالجة مشاكلهم، وتفضل أن تقوم بالعمل بدلا منهم (فراجع نجاحك)..
- عندما تسير حياتك الزوجية على بساط الماء الهادئ؛ لا شجار.. لا صوت عالٍ.. لا نقاش.. لا حديث.. باختصار لا شيء على الإطلاق.
- عندما يتحول زواجك إلى تعايش سلمي، وتتمنى أن تعود مشاعر أيام الزواج الأولى ولو مع سخونتها (فراجع نجاحك)..
- عندما تشتاق للذة الوقوف بين يدي الله مناجيًا.. مناديًا.. مستغيثًا، وأنت تؤمن أنه لا يجيب إلا هو، ولا تجد في نفسك أي إقبال، وتثقل كفيك فلا ترتفع بالدعاء (فراجع نجاحك)..
- عندما تتقلب في فراشك وتلهو آلاف الأفكار في رأسك، والكل من حولك يتنفس نومه بهدوء ورقة، وأنت هناك ... هناك ... لا تنام (فراجع نجاحك)...

والآن اسأل نفسك: هل أنت ناجح أم سعيد؟



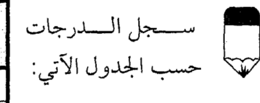
وابحث عن متعة النجاح في الاختبار التالي:



هذا أكثر من اختبار.. فأرجو أن تقرأه بعناية كله قبل أن تبدأ في الإجابة. لقد رصدت لـك اثنـا عشـر دورًا مـن أدوارك في الحيـاة، ورصـدت لـك ٣٦ سلوكًا في هذه الأدوار، ورصدت لك ١٠٨ مستوى من مستويات السـعادة في هذه السلوكيات، فابحث في وسط هذه الخريطة عـن متعـة النجـاح. أرجـو أن تكون أكثر صدقًا مع نفسك مما أتوقع.

الدور	سلوك النجاح	مستوى السعادة		
		دائما	أحيانا	لا
مع الله	أ- أتذكره			
	ب- لا أنساه			
	جـ- أشتاق إليه			
مع النفس	أ- بلا قلق			
	ب- تلاوم			
	جـ- تفاهم			
مع الوالدين	أ- واجب			
	ب- بر			
	جـ- إحسان			
في الزواج	أ- تعايش			
	ب- رحمة			
	جـ- مودة			
مع الأولاد	أ- حماية			

الدور	سلوك النجاح	مستوى السعادة		
		دائما	أحيانا	لا
	ب- توجيه			
	جـ- تفويض			
مع الأرحام	أ- أذكرهم			
	ب- أشاركهم			
	جـ- أبرُهم			
مع الأصدقاء	أ- مصالح			
	ب- تعاون			
	جـ- تناغم			
في العمل	أ- أودي دوري			
	ب- أنجز وأتعاون			
	جـ- أستمتع			
مع الموظفين	أ- الحبل المشدود			
	ب- تحت الرقابة			
	جـ- ولاء			
مع الرؤساء	أ- أؤدي دوري			
	ب- أنصح			
	جـ- أشارك			
مع المنافسين	أ- شريف			
	ب- ناصح			
	جـ- مساعد			
مع الوقت	أ- أحترق أو أهرب			
	ب- متوازن			
	جـ- الأولويات			



سجل الدرجات حسب الجدول الآتي:

سلوك النجاح	مستوى السعادة		
	دائمًا	أحيانًا	لا
أ	٢	١	صفر
ب	٥	٤	٣
جـ	٨	٧	٦

والآن: هل علمت أين تكون السعادة؟

قد تتعرف عليها في النتيجة التالية:

- أقل من ٣٦ والعجيب أنك تدعي أنك ناجح أو سعيد.
- ٣٧ - ٧٢ أَفِقْ.. وإلا فاتك قطار السعادة والنجاح.
- ٧٣ - ١٠٨ **لا تعليق.**
- ١٠٩ - ١٤٤ أنت ناجح.. قد ينقصك بعض الشعور بالسعادة، ولكنك تحاول.
- ١٤٥-١٨٠ استمر
- ١٨١ - ٢١٦ **لا تعليق**
- ٢١٧ - ٢٥٢ استطعت تحويل نجاحك إلى سعادة
- أكبر من ٢٥٣ قد يرى بعض الناس أنك تفتقد بعض

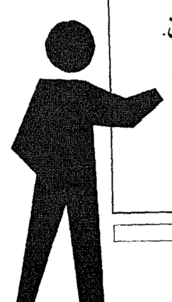
مقومات النجاح، إلا أنني أرى تلك الابتسامة العريضة على شفتيك كأنك تخبرهم أنك تستمتع بمتعة النجاح.

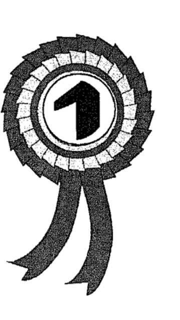
لاحظ مناطق (**اللا تعليق**)، فأنت فيها تتأرجح بين حالتين:
بين النجاح التعس، والنجاح البارد في المنطقة الأولى.
وبين النجاح السعيد ومتعة النجاح في المنطقة الثانية.

عشر خطوات للسعادة

وهذه هي الخطوات العشر للسعادة بعد أن تعرفنا على الخطوات العشرة للنجاح..

الخطوة الأول: كيف ترى نفسك؟
الخطوة الثانية: تعرَّف على مداخل النجاح.
الخطوة الثالثة : ابحث عن قاعدة الانطلاق.
الخطوة الرابعة : احذر خداع الحواس.
الخطوة الخامسة: معالم النموذج المستهدف.
الخطوة السادسة: فكِّر خارج الصندوق.
الخطوة السابعة : اجعل النجاح عادة.
الخطوة الثامنة: هل أنت ناضج؟
الخطوة التاسعة: كن متوازنًا.
الخطوة العاشرة: افتح بوابة التغيير.



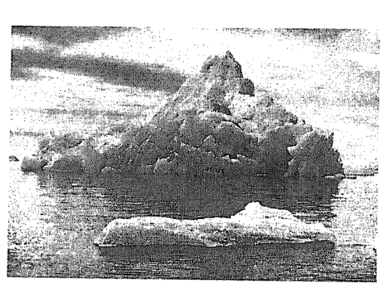

١


الخطوة الأولى
كيف
ترى
نفسك



ظلت هذه الآية القرآنية يفهمها العربي في الصحراء على أنها تشبه الجبال التي خلقها الله تعالى لتثبت الأرض بالأوتاد التي يثبت بها خيمته في الصحراء، ومع تطور علم الجيولوجيا كانت هناك رؤيا أخرى كشفت عنها الآية؛ ذلك عندما اكتشفوا أن الجبال ليست مجرد بروز عن سطح الأرض، إنما هي جسد واحد كالوتد مغروس في الأرض بعمق، مع ملاحظة أن الجزء الأكبر من الجبل هو المغروس في الأرض، وكلما كان هذا الجزء أكبر كلما كان الجبل ذا قمة شاهقة.

جبل الجليد



وكذلك جبل الجليد الطافي على سطح الماء؛ إنه يخدع هؤلاء البحَّارة الْجُدَد على مسالك البحار، أما ذلك القبطان الذي عرف أعالي البحار فقد أدرك أن ذلك

---

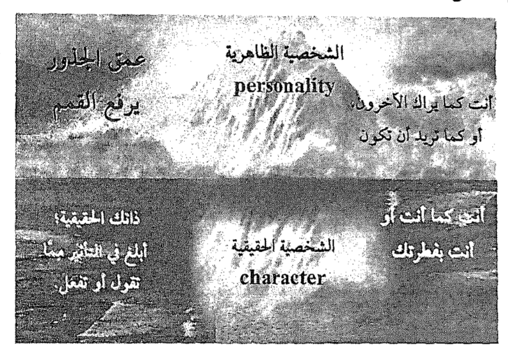
(١) (النبأ: ٧)

الجزء الطافي ما هو إلا بروز لجزء أكبر منه تحت سطح الماء.

إن لكل إنسان شخصيتين؛ الأولى: الشخصية الظاهرية *Personality* وهي أنت كما يراك الآخرون، أو هي كما تريد أن تكون، وهي الجزء الظاهر من الجبل.

والثانية: الشخصية الحقيقية *Character*، وهي أنت كما أنت، أو هي أنت بفطرتك، وهي الجزء المدفون من الجبل.

وبداية طريق السعادة أن يكون تعبيرك عن شخصيتك الظاهرية (أنت كما يظهر الناس) هو صورة صادقة لشخصيتك الحقيقية (أنت كما أنت)... ومن هنا سيحدث ما يسمى (المصالحة مع النفس).



وعندما يكون الجزء الظاهر من الجبل أكبر من الجـزء المـدفون، عندما لا يكون ظاهرك له أصول عميقة عندك.. عندما تمثل شـكلا ظاهريًـا لـيس هـو حقيقـة نفسـك، فهـذه الـنفس الأمـارة بالسـوء يلاحقها قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لِـمَ تَقُولُـونَ مَـا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون**﴾[الصف:٢- ٣].

وكلما تعمق الجزء المدفون أكثر في الأرض كلما ارتفعت القمة حتى يطمئن الجبل راسخًا؛ ليكون لمظهـرك العـالي الـذي يلامـس السماء واقع عميق داخلك.

أقول لك

إن البدايـة الحقيقيـة لمتعة النجاح عندما تدرك ذاتك الحقيقية، واعلم أن عمق الجذور يرفع القمم.

ليكن سؤالك الأهم:

كيف ترى نفسك؟ لـيس كيـف يراك الآخرون؟

إن ذاتك الحقيقية أبلغ في التأثير مما تقول أو تفعل.

استبيان
تعرَّف على نفسك

تحتاج أن تُقيِّم ذاتك.. أن تتعرَّف على إيجابياتك وسلبياتك.. تطلب نقد الآخر.. تبني سماتك الابتكارية؛ بل وتنظر باستمرار بين سطور ذاتك لتبحث عن الجديد والتجديد.

فإن بداية التخطيط للتطوير هو جمع المعلومات، وبين يديك استبيانًا بعنوان: (كيف ترى نفسك؟)، و(كيف تتعامل مع الآخرين؟)، سنفتح به كتاب ذاتك ليتحدث عنك.

الآن أجبْ عن الفقرات العشر الآتية باختيار أقربها إلى شخصيتك.

ستقول لي: إن الأمر يختلف من موقف لآخر، وأقول لك: اختَرْ موقفًا من مواقف حياتك وأجب مِنْ خلاله عن العشرة أسئلة.

تقول لي: إن الأمر بَيْنَ بين، أقول لك: اختر العبارة التي تمثل ٥١ ٪ من شخصيتك.

عد العلامات (أ) والعلامات (ب)

ولاحظ أن مجموعهما لا بد أن يكون (١٠).

ثم أمامك منحنى بياني، يمثل الخط الأوسط فيه الصفر، ضع دائرة حول الرقم (أ) في الناحية اليسرى، ودائرة حول الرقم (ب) في الناحية اليمنى.

الجزء الأول: كيف ترى نفسك؟

ضع علامة على العبارة أو الصفة التي تنطبق عليك بصورة أو بأخرى في (أ) أو (ب).

١.	أ- أتحرك ببطء وهدوء .		ب- أتحرك بسرعة ونشاط واضح.	
٢.	أ- أتحدث ببطء واتزان .		ب- أتحدث بسرعة وبصوت مرتفع.	
٣.	أ- في جلستي أميل قليلا للخلف.		ب- في جلستي أميل قليلا للأمام.	
٤.	أ- لا أميل للمواجهة والتحدي.		ب- أميل للمواجهة والتحدي.	
٥.	أ- لا أجيد فن توجيه الأسئلة.		ب- أجيد فن توجيه الأسئلة.	
٦.	أ- أتخذ قراري بهدوء وترو .		ب- أتخذ قراري بسرعة .	
٧.	أ- لا أميل إلى تحمل المخاطرة		ب- أميل إلى تحمل المخاطرة .	
٨.	أ- أترك للآخر فرصة المبادرة .		ب- أميل إلى أخذ زمام المبادرة في يدي .	
٩.	أ- أستخدم تعبيرات وجهي ونظراتي في التعبير عن أفكاري.		ب- لا أميل إلى استخدام التعبيرات غير اللفظية .	
١٠.	أ- لا أميل إلى صياغة آرائي وأفكاري ومطالبي بصيغة قاطعة حاسمة .		ب- أميل إلى التعبير عن أفكاري وآرائي بحكمة ووضوح قاطعين .	

عدد علامات (أ) = [ ]

عدد علامات (ب) = [ ]

أ Asks(−)تسأل			ب Tels (+)تخبر
١٠ ٩ ٨ ٧ ٦	٥ ٤ ٣ ٢ ١	١ ٢ ٣ ٤ ٥	٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

التعليق

هناك نوعان من الشخصيات يبرزهما هذا الاستبيان، ومن خلال رؤيتك لنفسك سترجح لديك إحداهما .

١- شخص يخبر (**tels**) وهي الشخصية الإيجابية في الحوار، التي تتحدث وتناقش، منفتحة، مرحة، فيها الصفة الإشعاعية.[١]

٢- شخص يسأل (**Asks**) وهي الشخصية السالبة في الحوار .. مستمع أكثر، يجيب عن السؤال بسؤال، يحيطه شيء من الغموض، منغلق، إذا ضحك ابتسم، وإذا تحدث أشار وأومأ برأسه .

وبقدر اقترابك من أحد الجانبين تكون الشخصية الغالبة عليك من وجهة نظرك .

---

(١) راجع تمرين (شخصيتك)، ص ٣٧ .

الجزء الثاني : كيف تستجيب للآخرين؟

ضع علامة على العبارة أو الصفة التي تنطبق عليك بصورة أو بأخرى في (أ) أو (ب).

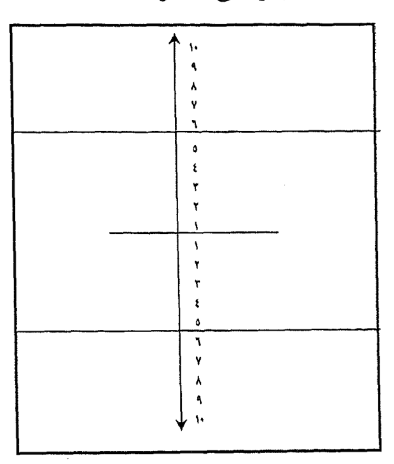
١.	أ- لا أستخدم إشارات اليد أو حركات الجسم في التعبير.		ب- أكثِرُ من استخدام الإشارة .	
٢.	أ- تحركاتي وحركتي أثناء المشي تتسم بالرسمية .		ب- تحركاتي وحركتي أثناء المشي تتسم بالعَفَويَّة.	
٣.	أ-تعبيرات وجهي متزنة ومحددة.		ب- تعبيرات وجهي مُعَبِّرة وطبيعية.	
٤.	أ- أبدو شخصًا جادًّا		ب- أبدو شخصية مرحة .	
٥.	أ- ملابسي تتميز بالرسمية.		ب-أرتدي ملابس بسيطة وأقل رسمية.	
٦.	أ-أستطيع السيطرة على مشاعري .		ب- أشعر بحرية في التعبير عن مشاعري .	
٧.	أ- أميل إلى التركيز على الحقائق.		ب- أميل إلى التركيز على المشاعر.	
٨.	أ- قراراتي تستند إلى تحليل علمي للموقف.		ب- قراراتي تستند إلى أحاسيسي ومشاعري .	
٩.	أ- حياتي تتسم بالانضباط وأدير وقتي بنجاح .		ب- أظهرُ قدْرًا محددًا من السيطرة على وقتي .	
١٠.	أ- أركز على المهام المطلوب إنجازها .		ب- أركز على مشاعر مَنْ يطلبون مني .	

عدد علامات (أ) = ☐

عدد علامات (ب) = ☐

Emotions Controls

يسيطر على مشاعره(-) (أ)



(+) (ب)

يعبر عن مشاعره Emotes

التعليق

يوضح هذا الجزء من الاستبيان هل هذه الشخصية المسيطرة عليك، والتي بَيَّنَها الاستبيان الأول هي التي تدير عملية التعامل مع الآخرين، أم تستطيع أن تضبط الإيقاع وتتعامل مع المواقف حسب احتياجها.

وأيضًا يوضح هذا الجزء من الاستبيان أن هناك نوعين من الشخصيات في التعامل مع الآخرين ...

أ- شخصية تسيطر على مشاعرها، وهي قليلة الانفعال لا تُسْتَفَزُّ بسرعة، ولا تُظْهِر مكنون صدرها .

ب- شخصية تعبر عن مشاعرها وهي عكس الأخرى .

وكلما اقترب رقمك من الرقم ١٠ تكون هذه الشخصية هي المعبرة عنك.

الجزء الثالث: خريطة الشخصية

هذه الخريطة تدلك على الشخصية ودروبها وهضابها وسهولها.

ضع أرقامك الأربعة على الخريطة كما هو موضح بالمثال؛ حيث نفترض أن الأرقام كالآتي:

كيف ترى نفسك؟	أ	٨
	ب	٢
كيف تستجيب للآخرين؟	أ	٦
	ب	٤

تسيطر
أ

العقلاني
١

الغامض
٢

ب
تخبر

أ
تسأل

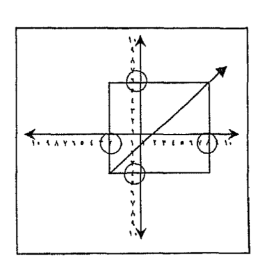
١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

٣
المنفتح

٤
العاطفي

ب
تعبر

فنضع الأرقام على
الخريطة هكذا :



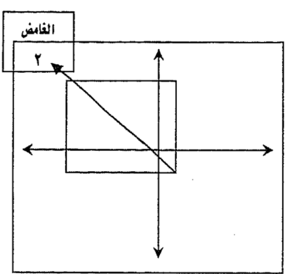
والمربع الـذي يمثـل الشخصـية النهائيـة هـو الـذي يشـير إليـه السهم، وفي المثال السابق هي شخصية العقلاني.

ما سمات هذه الشخصية؟ وما أنماط الشخصيات الأخرى؟

هذا ما تجيب عنه صورة خريطة شخصيتك.

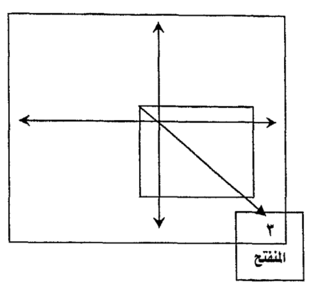
شخصيات أربع:

ينتج من هذا الاستبيان أربـع شخصـيات، أو فلنقـل: خمـس، فتعالَ نتعرف عليها:

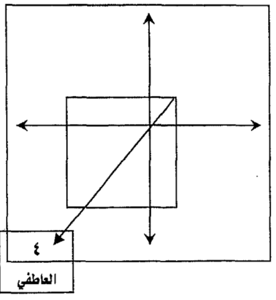


١- الغامض: وهـي شخصية (رجـل المخـابرات أو العميـل السـري) الـذي يسمع أكثر مِمَّا يتكلم، وهو كمـا يقـول المثـل: (يشـتري ولا يبيـع)، هـادئ، مـن الصـعب أن تجعلـه ينفعـل، منغلق، يسيطر على مشاعره، لا تستطيع أن تقـرأ مـا بداخلـه عـن طريق وجهه أو حركات جسمه، وموقعـه علـى الخريطـة كمـا هـو موضَّح في الشكل .

٢ـ المنفتح: وهو عكس الشخصية السابقة، وتكون صورة خريطة شخصيته كما في الشكل .



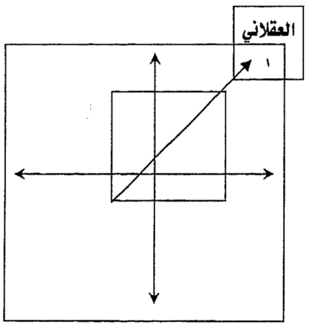
ويمكن تسمية هذه الشخصية (عضو النادي الصيفي)؛ فهو فاكهة الجلسات المسائية أو الشاطئية، متحدث، وعنده الكثير من الروايات والطرائف، غير متحفظ، ليس لديه ما يَخْجَل منه، متحدث أكثر منه مستمع، يعبر عن مشاعره، ويظهر على وجهه ما في نفسه، إذا مَزَحَ ضحك بصوت عالٍ، ويكاد أن ينقلب على ظهره.



٣ـ العاطفي:

وهو الشخصية الرومانسية الْحَالِمَة، وموقعها على الخريطة كما هو موضَّح بالشكل .

صامت، خجول، يستفسر قبل أن يتكلم، وإذا تحدث فهو حريص جدًّا في عباراته، مهذب ولكنه سريع التأثر بالمواقف، ويظهر على وجهه وأطرافه كل الأثر، يعبر عن مشاعره ولا يستطيع السيطرة عليها .



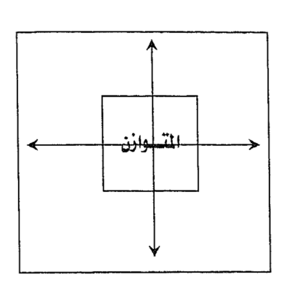
٤ـ العقلاني

وهو الشخصية الرابعة التي تظهر على الخريطة المرفقة .

وواضح من تسميته أنه إنسان متحدث لبق، لا يتحرج في أكثر المواقف دقة، وبجانب ذلك لديه القدرة على السيطرة على مشاعره، فيؤجل رد الفعل بعد الدراسة، فهو عقلاني .. عكس الشخصية السابقة (العاطفي).

والآن: أي مِنْ هذه الشخصيات هي المؤهلة للنجاح المكلل بالمتعة؟

ستسارع بالإجابة: الشخصية الرابعة العقلاني، أقول لك: نعم .. ولكن هناك شخصية أكثر توازنًا تجعل الأنماط عندنا خمسة، وهي التي تظهر على الخريطة التالية:



المتوازن

وتتكون أرقامه الأربعة عند الرقم (٥) غالبًا.

هذه الشخصية أكثر توازنًا من كل الشخصيات الأربع، وهي التي يستطيع صاحبها أن يكون ناجحًا فعالا .

فالمتوازن يتكلم إذا احتاج للكلام، ويسأل إذا احتاج للسؤال، ويستمع ويصمت إذا احتاج لذلك، ويعبر عن مشاعره كنوع من الضبط الإيقاعي أثناء التعامل، بل ويسيطر على مشاعره عندما يفاجأ بالموقف الْحَرِج.

يحتاج أن يكون -أحيانًا- عاطفيًّا وأخرى عقلانيًّا .. يحتاج أن يكون غامضًا للحظات ومنفتحًا للحظات .


2


الخطوة الثانية
مداخل
النجاح



تحت هذا العنوان سنجد آلاف الكتب كتبت في مراحل مختلفة من القرن الماضي، وكانت تشرح اللوحة الخارجية التي نعرضها على الناس لنكسبهم..

قالوا:

- عاملِ الناس كما تحب أن يعاملوك.
- ابتسم تفتح لك الأبواب.
- صافح بحرارة تدفئ القلوب.
- أنصت باهتمام يحترمك الآخرون.
- ....

واستمرت هذه المدرسة تعلّم الناس المزايا الشخصية للإنسان الجذاب، حتى رسخ في ضمير الكثيرين أنه يمكنك أن تتظاهر بما ليس فيك ليتبعك الناس، ونجحت هذه المدرسة، وتخرج منها فريق من البشر أدرك نجاحات ولكن لم يدرك علاقات وثيقة؛ كان الواحد منهم يعود إلى بيته يقف أمام المرآة في الحمام ليعيد إلى وجهه شكله الطبيعي بعد ذلك التصلب المؤلم الذي سببته تلك الابتسامة المفتعلة طوال النهار، بل ويحاول أن يمسك انقلاب بطنه ومحاولاتها إفراغ ما فيها عندما تنازل لذلك الوغد عن جزء من كرامته في سبيل صفقة.

قالت له زوجته المسكينة وهو يدخل البيت:

- ألا تجد غير ذلك العبوس في جبينك، وتلك المرارة على شفتيك لتحمله معك عندما تدخل علينا آخر النهار؟!

قال في أسى شديد وهو يلقي نفسه على أقرب أريكة:

- إن البيت هو المكان الوحيد الذي يجد الإنسان فيه راحته، ويكون على طبيعته!!

لم تستطع تلك المدرسة أن تزرع متعة النجاح في القلوب؛ لأنها اعتمدت على النجاح من الخارج؛ فقد استخدمت كل وسائل التأثير من الخارج حتى تؤثر على الآخرين، وسيحدث ذلك على المدى القصير؛ فإذا كنت ضعيف الشخصية، مهتزًا، قليل الثقة بالنفس، أو نفعيًا، غير صادق، فمهما حاولت إخفاء ذلك فسوف ينكشف لا محالة على المدى الطويل.. فلا بد أن تنمي الشخصية القوية المتينة من الداخل، لا الشخصية البراقة المبهرة من الخارج.

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم

عندما كنت أبحث عن الأمل وجدته في آية من القرآن؛ هي قوله تعالى: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾** [الرعد:١١].

سألني صاحبي:

أين شعاع الأمل البارق في هذه الآية؟

قلت له:

إنه ذلك العطاء الرباني الـذي وضـعه بـين أيـدينا.. إن الله قادر على أن يغير بلا سبب؛ مجرد قوله كن.. ولكن أن يجعل الله - تعالى- في أيدينا إرادة التغيير!! إنه مجرد أن نعمل على تغيير أنفسنا، مجرد أن نعلم أن ما أصابنا هو من عند أنفسنا فنسارع بالتغيير؛ فـإن الله مسـتجيب لـذلك.. كـل ذلـك يبعـث فينـا الأمـل في التغـيير للإصلاح إذا بدأنا.

قال صاحبي مضيفًا:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

قلت له:

نعم: عندما ندرك أن متعة النجاح المفقودة نتجت من أننـا حصلنا على نجاح مغشوش؛ نجاح ظاهري، فنبدأ في تغيير الداخل.. فإن الله يغير لنا ذلك النجاح إلى سعادة.

أقول لكم: إن النجاح لا بد أن يكون من الداخل.

أقول لهؤلاء الذين يتعاملون مع الناس: أمامكم ثلاثـة مصـادر

لنجاحكم؛ الناس مِنْ حولكم، والموارد، والذات. وحتى ننجح في إدارة الآخرين لا بد من إدارة أنفسنا أولا.. لا بد من إدارة الذات.



وتذكر أن هناك مدخلين للنجاح:

✱ المدخل الأول: مدخل النجاح من الخارج (الظاهري) Personality أو مدخل بناء الشخصية؛ حيث يتوقف النجاح على المزايا الشخصية، والصورة الظاهرة للفرد، والاتجاهات، والسلوكيات، والمهارات.

وقد اعتمد هذا المدخل على اتجاهين:

الاتجاه الأول: أساليب العلاقات الإنسانية والعلاقات العامة؛ مثل: الاتصال الفعال والحوار والتفاوض.

الاتجاه الثاني: أساليب بناء الاتجاهات الإيجابية للتفكير؛ مثل: النظر للناس أنهم جميعًا بخير (التغاضي عن العيوب).

وتبلور عن هذا المدخل شعارات عدة؛ منها:

«هيئاتك تحدد ارتفاعاتك»، «الابتسامة تكوِّن الأصدقاء، والعبوس يبعدهم»، «ابتسم، صافح، جامل تكسب»، «قوة الإرادة والمثابرة والإلحاح طريق النجاح».

وقد حقق هذا المدخل نجاحًا قصير الأجل؛ لأنه اتجه إلى التركيز على الأساليب، ومحاولة برمجة سلوك الفرد تجاه الآخرين. وباختصار: اعتمد هذا المدخل على اختصار الطريق بإعطاء وصفات لتطوير وبناء الشخصية لتظهر للآخرين؛ أي التركيز على البناء (الخارجي)، دون الاهتمام بالبناء (الداخلي) لنواة الشخصية من الداخل، وهي الذات *CHARACTER*، وبالرغم من أن هذا المدخل حقق نجاحًا قصير الأجل كما قلنا، إلا أنه لم يحقق السعادة.

✱ المدخل الثاني: بناء الذات *CHARACTER* .

حيث يتركز الاهتمام أولا على البناء الداخلي للإنسان، وينبني

كلٌّ من النجاح والسعادة على مبادئ أساسية وبدهية؛ مثل: النزاهة والتواضع والوفاء والشجاعة والعدل والصبر والبساطة والاعتدال، وعلى ذلك فإن هذا المدخل يقوم على أن:

«هناك مبادئ أساسية للحياة الفعالة، وأن الإنسان لن يستمتع بالنجاح الحقيقي والسعادة المستمرة إلا عندما يتعلم أن يدمج هذه المبادئ في البناء الأساسي لذاته».

ولا تنسَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]

فكل ما يستطيع عقل الإنسان أن يتخيله ويؤمن به يستطيع أن يحققه.

ولن تنال النجاح الحقيقي والسعادة الباقية إلا إذا عشت تبعًا لهذه القواعد الأخلاقية، وجعلتها جزءًا من شخصيتك الداخلية.

إن هذا المدخل لا يعني الاستغناء عن المدخل الآخر (بناء الشخصية)، فلا شك أن مهارات العلاقات الإنسانية، والعلاقات العامة، والاتصال، ووسائل تنمية الشخصية، واستراتيجيات التأثير والتفكير الإيجابي هامة للغاية في النجاح، إلا أنها سمات ثانوية لازمة للنجاح، في حين أن المبادئ التي يعتمد عليها بناء الذات تمثل السمات الأولية للنجاح والسعادة معًا؛ لأن رسائل (ذاتك) للغير أبلغ من رسائل (شخصيتك) لهم؛ فهي إشعاع دائم عميق الأثر، حميدًا كان أو خبيثًا يصدر منك ويتلقاه ويشعر به مَنْ حولك، بغَضِّ

النظر عما تفعله أو تقوله لهم من خلال شخصيتك.[1]

ابن ستيفن كوفي:

لذلك .. تذكر دائمًا أن:

ذاتك أبلغ في التأثير على الغير مما تقول أو تفعل

كان لديه ابنٌ متخلفٌ في دراسته؛ بل وغير ناضج اجتماعيًّا، وغالبًا ما يبدو مُحْرَجًا حتى مع أقرب الناس إليه.

وكان ضئيل الجسم، هزيلا، فلا يجيد أي رياضة وغير منظم، يقول كوفي: وبدأنا نعلمه شيئًا ما ونقول له: هيا يا بني، تستطيع أن تفعل هذا ونشجعه، ولكن كان ينتقل من فشل إلى فشل رغم محاولاتنا.

وأخيرًا.. اكتشف هو وزوجته، وبعد أن فحصا مشاعرهما بعمق ونزاهة، أنهما كانا يعتقدان في قرارة أنفسهما بأنه فاشل، وأنه متأخر عن أقرانه؛ يقول كوفي: «وعلى الرغم من مجهودنا كنا نعتقد أنه لن ينجح».

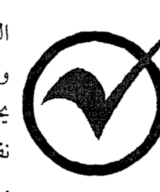
ويقول: «وبدأنا ندرك أننا إذا أردنا أن نغيِّر الوضع فإن علينا أولا أن نغير أنفسنا، ولكي نغير أنفسنا فعلا علينا أن نغير مداركنا».

---

(1) عن مذكرة برنامج (الانطلاق من الداخل)، مركز شعاع.

إنهما كانا يستخدمان مقياسًا اجتماعيًا لتصرفات ابنهما؛ كان الولد دون المستوى المطلوب، كان الوالدان لا يتشرفا بابنهما، كان تصورهما عن أنفسهما أنهما آباء ناجحون أهم من ابنهما.. يقول كوفي: «كنا ننظر إلى المشكلة من وجهة نظر مصلحتنا لا من وجهة نظر الاهتمام بابننا».

كيف حل كوفي مشكلته؟



تنبه كوفي وزوجته إلى مدى التأثير القوي لقيمه ودوافعه على تقييمه لابنه، واكتشف ذلك الحبَّ المشروط الذي كان يحب به ابنه.. فركّز جهوده على إصلاح نفسه أولا؛ وكانت البداية أن غيَّر أساليبه ودوافعه وصورة ابنه عنده.

وتنحَّى هو وأمه عن طريق ولدهما، وكان دورهما الطبيعي هو التدعيم فقط، فكبح دوافع الأمن الاجتماعي داخلهما، ولم تعتمد مشاعرهم التقيمية على التصرفات المقبولة اجتماعيًا من ابنهم.

فتلاشى التصور القديم لابنهم الفاشل، واكتشفا قيمته الحقيقية، أصبحا يسعدان به بدلا من مقارنته بالآخرين، توقفا عن وضعه في إطار تصورهما، أو قياسه بما تقتضي المتطلبات الاجتماعية، توقفا عن محاولة وضعه بالتحايل ضمن قالب اجتماعي مقبول.

أبحث داخل قلبك بكل جِدٍّ عن قيم النجاح؛ فمنه تتدفق مصادر الحياة.

ليس المدى الطويل ولكن أبعد مدى.

قال لي صاحبي:

ولكن الأمر صعب؛ فكثيرة هي الحالات التي تحتاج منا إلى أن نُظْهِر غير ما نبطن.. أن نتصرف بعيدًا عن المبادئ.

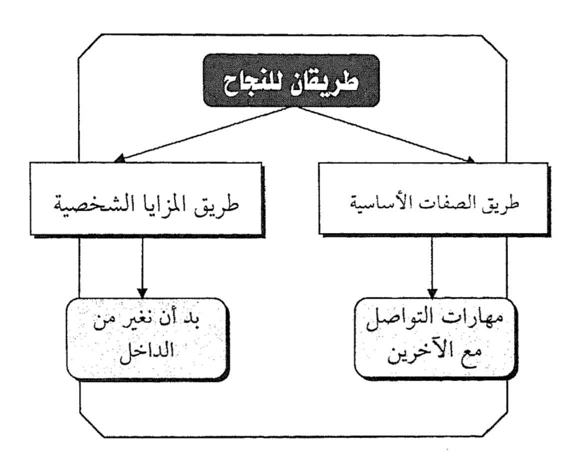
ثم قال وهو يبتسم:

وكثيرًا ما ننجح.

رددت ابتسامته عليه، ولكنها ممزوجة بعتاب وقلت:

أولا: إذا حاولت استخدام استراتيجيات التأثير البشري، والتكتيكات التي تجعل الآخرين يفعلون ما أريد، بينما شخصيتي بها خلل أساسي، ونفاق اجتماعي ورياء فلا يمكن أن أنجح على المدى الطويل، وسيتولد عدم الثقة مع الوقت، وسينكشف خداعي رغم كل محاولاتي.

إن (الشخصية من الداخل) هي التي تحمل القواعد الأخلاقية الأساسية للحياة، أما (الشخصية من الخارج) أو مهارات التواصل فهي تعتبر (كأسبرين) لمعالجة مشاكل حادة، وكلاصق اجتماعي للجروح تتمكن من علاجها مؤقتًا، ولكن تترك المشاكل المزمنة الكامنة دون حَلٍّ؛ كي تعود للظهور مرة أخرى بل ومرات.



لا تكن ريحانًا

قدراتك التي يراها الناس تمتلئ برائحة شخصيتك الداخلية؛ مهما حاولت إخفاءها فسوف تكن كزهرة جميلة إذا اقترب منها الناس شموا لها رائحة كريهة.

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ**

وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ولا رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ؛ طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ». [١]

نعم كن أترجة أو حتى تمرة ولا تكن ريحانة، أما الحنظل فيكرهه كل الناس رغم أن له الكثير من الفوائد.

على المدى القصير يمكنك أن تنجح مؤقتًا في امتحان مدرسي بالغش، أو في علاقاتك مع الآخرين بالادعاء وبالمظهر الخادع البراق، ولكن لن يدوم ذلك النجاح.

(إنك قد تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت، ولكنك لن تستطيع أبدًا أن تخدع كل الناس كل الوقت).

فرقٌ بين:

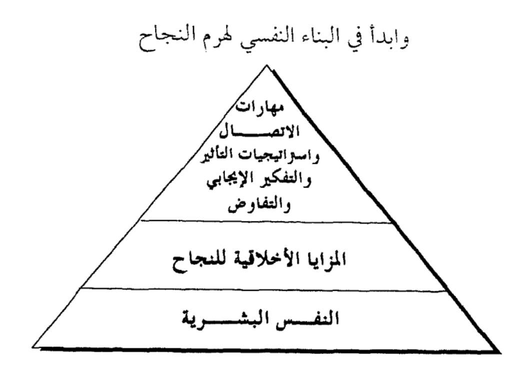
← الخلفيات السابقة وتربية الطفولة فقد أهلك السابقين قولهم: ﴿**نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [لقمان: ٢١].

← وتلك المشاهد التي تكمن بعمق في عقلك الباطن.

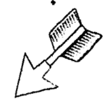
---

(١) رواه البخاري، كتاب (فضائل القرآن)، باب (إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكل به، أو فخر به).

وابدأ في البناء النفسي لهرم النجاح



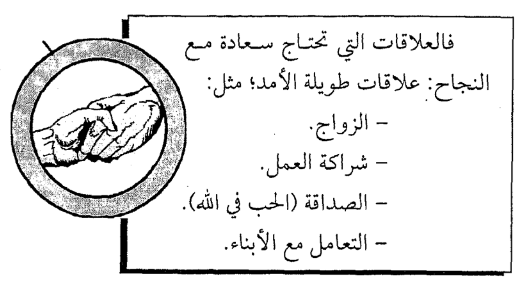
اتجاه البناء



واحـذر فلسـفات الحلـول السـريعة؛ فلـيس هنـاك طريق مختصر عندما تكون المبادئ هي الهدف.

إذا عرفت كيف تحتال على قواعد العمل ستصـل علـى المـدى القصير، أو كما يقولون: كيف تلعبها صـح؟ كيـف تمررهـا؟ كيـف تضع الكرة في ملعبه؟ قد تـنجح في العلاقـات الخاطفـة أو قصـيرة الأمـد بالتـذاكي، بسـحر الحـديث (الفهلـوة، التظـاهر باهتمامـات الآخرين)، كل هذه مزايا ثانوية.

ولكــن إذا لم يكــن هنــاك اسـتقامة ومزايــا أساسـية قويـة فـإن تحديات الحياة تجعل الدوافع الحقيقيـة تطفـو علـى السـطح، ويحـل انهيار العلاقات محل النجاح قصير المدى.



فالعلاقات التي تحتـاج سـعادة مـع النجاح: علاقات طويلة الأمد؛ مثل:

- الزواج.
- شراكة العمل.
- الصداقة (الحب في الله).
- التعامل مع الأبناء.

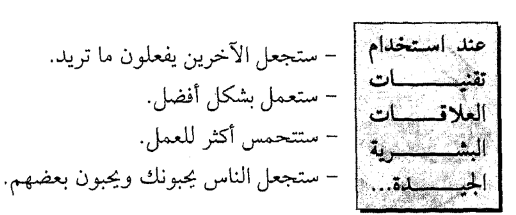
وهــؤلاء الــذين يبــالغون في التجميــل والتلــوين والتنميــق نقول لهم:

كلمــا صــرخت في أذنــي بصــوت عــالٍ.. لــن أسـتطيع أن أسمعك. اغتسـل جيـدًا؛ فـإن رائحة عطرك سوف تزول غالبًا، وهـل تريـد أن أذكـرك بحـديث الريحانة السابق.

قد تفتقر إلى مهارات الحديث مع الناس، قـد لا تحسـن تنميـق الكلام ورَصّـه، قـد لا تجيـد كسـب المواقـف، ولكـن تملـك مزايـا أخلاقية؛ إذًا ستكسب بها مَنْ تبقى معك على المدى الطويل.

اعتمد على إزاحة الستار عـن مصـدر الضـوء الـداخلي فيـك

فيتسلل ضوؤه بهدوء، فيراك الناس على حقيقتك، أما إذا سَلَّطتْ جميع كشافات شخصيتك الْمُبْهِرَة فقد يصطدم بك البعض وهم يندفعون نحوك بعد أن خطف بريقك أبصارهم.



عند استخدام تقنيات العلاقات البشرية الجيدة...

- ستجعل الآخرين يفعلون ما تريد.
- ستعمل بشكل أفضل.
- ستتحمس أكثر للعمل.
- ستجعل الناس يحبونك ويحبون بعضهم.

ولكن...

عند وجود خلل في الشخصية (نفاق، رياء، لؤم، خبث) ستفشل على المدى الطويل رغم ذلك، ستتولد عدم الثقة، سيعلن جميع مَنْ حولك مع الزمان أنك مخادع.

تعلمنا المزايا الأخلاقية أن هناك مبادئ أساسية للحياة الفاعلة، وأن الناس لا يستطيعون تحقيق نجاح حقيقي، أو أن ينعموا بالسعادة إلا إذا تعلموا هذه المبادئ واستوعبوها كأخلاق أساسية.

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ولكن فرق كبير أن تتمثل بهذه المبادئ ليقال عنك أنك كذلك

أو لتبني مجدًا، وبين أن تتمثل بها لأن الله هو الذي يأمر.

ثم الجنة

وهي قمة النجاح حيث المتعة الحقيقية؛ فإن النجاح القائم على المبادئ والقيم ليس مجرد ارتقاء في الدنيا، ولكنه -كما وعد الله- فوز وفلاح وجنة ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧١]



العودة من أحد

في غزوة أحد كان الأمر واضحًا من القائد النبي ﷺ.

لقد استنفذ كل وسائل الدنيا المؤدية للنصر؛ استشار قبل المعركة واستجاب للمشورة، وأعد الجيش، بل وصفّى الله تعالى هذا الجيش له فأخرج منه المنافقين وهم رموز النجاح من الخارج.. يقول تعالى عنهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨]

ووضع ﷺ الخطة المحكمة، وأوقف فريق الرماة على جبل مشرف على ساحة المعركة، وجعل جبل أحد الذي يحب المؤمنين ويحبونه يحمي ظهورهم، ووقف يسوي الصفوف ويدعو الله تعالى، وتَمَّ النصر الظاهري ولَمْ يَبْقَ إلا المبادئ الداخلية والانتصار من الداخل، فلما انهارت أمام بريق الغنائم انهار النصر الظاهري...

كان المبدأ هو طاعة الرسول، وكانت القيمة المضادة هي الغنائم، فلِمَ لا نتحايل على أمر النبي ﷺ؟ لِـمَ لا نجتهد والأمر واضح؟ لقد أدرك الجميع أنه إذا لم تتعمق المبادئ فسوف يكون الاختبار الشديد...

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

مقابل القيمة والمبدأ تكون السعادة، ومقابل التخلي ـ ولو باجتهاد ـ على القيمة والمبدأ يكون الغم.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وقد يكون التساؤل ضخمًا في النفس.. لماذا؟

لقد أخذنا بكل الوسائل نعم، كل ما يتعلق بالنجاح من الخارج قد أخذناه بلا، لقد نجحنا فعلا فأين السعادة؟ إنه نجاح كالفشل، إنه مصيبة.

هل كان هذا التساؤل في نفوس الصحابة وهم عائدون من أحد؟ قد يكون؛ فإن القرآن قد أجاب لهم عنه **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [آل عمران: ١٦٥]

هو من الداخل... هو من المبادئ والقيم.

ولن تنال النجاح الحقيقي والسعادة الباقية إلا إذا عشت تبعًا لهذه القواعد الأخلاقية، وجعلتها جزءًا من شخصيتك الداخلية.

فلا بد أن تدفع ثمن النجاح حتى تحققه.
إنك تحصد ما تزرع.
هل فكَّرت في مُزَارِعٍ ينسى أن يزرع في الربيع..
ثم يلعب طيلة الصيف..
ثم يستعجل ليجمع الحصاد في الخريف؟!
إن للحقل نظامًا طبيعيًا لا بُدَّ أن تتبعه ليعطي الحصاد.

«وغزوة أحد لم تكن معركة في الميدان وحده؛ إنما كانت معركة

كذلك في الضمير.. كانت معركة ميدانها أوسع الميادين؛ لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا جانبًا واحدًا من ميدانها الهائل الذي دارت فيه.. ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، وأطماعها وشهواتها، ودوافعها وكوابحها على العموم. وكان القرآن هناك يعالج هذه النفس بألطف وأعمق، وبأفعل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال !

وكان النصر أولا، وكانت الهزيمة ثانيًا، وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة.. انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التي جلاَّها القرآن؛ واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين، وتمحيص النفوس، وتمييز الصفوف، وانطلاق الجماعة المسلمة -بعد ذلك- متحررة من كثير من غَبَش التصور، وتميع القيم، وتأرجح المشاعر في الصف المسلم؛ وذلك بتميز المنافقين في الصف إلى حد كبير، ووضوح سمات النفاق وسمات الصدق في القول والفعل، وفي الشعور والسلوك.

ووضوح تكاليف الإيمان، وتكاليف الدعوة إليه والحركة به، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالمعرفة، والاستعداد بالتجرد، والاستعداد بالتنظيم، والتزام الطاعة والاتباع، بعد هذا كله، والتوكل على الله وحده في كل خطوة من خطوات الطريق، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة، وفي الموت والحياة، وفي كل أمر وفي كل اتجاه».

«ولا قيمة ولا وزن في نظر الإسلام للانتصار العسكري أو السياسي أو الاقتصادي؛ ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الرباني في الانتصار على النفس، والغَلَبَة على الهوى، والفوز على الشهوة، وتقرير الحق الذي أراده الله في حياة الناس؛ ليكون كل نصر نصرًا لله ولمنهج الله، وليكون كل جهد في سبيل الله ومنهج الله، وإلا فهي جاهلية تنتصر على جاهلية، ولا خير فيها للحياة ولا للبشرية؛ إنما الخير أن ترتفع راية الحق لذات الحق، والحق واحد لا يتعدد...

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤١].

والتمحيص درجة بعد الفرز والتمييز.. التمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير.. إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية، وتسليط الضوء على هذه المكنونات؛ تمهيدًا لإخراج الدخل والدَّغَل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق بلا غَبَش ولا ضباب.



وكثيرا ما يجهل الإنسان نفسه، ومخابئها ودروبها ومنحنياتها، وكثيرًا ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها، وحقيقة ما استكن فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾
[آل عمران: ١٥٢].

وهو تقرير لحال الرماة وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة؛ ووقع النزاع بينهم وبين مَنْ يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله ﷺ، وانتهى الأمر إلى العصيان بعدما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه. فكانوا فريقين:فريقًا يريد غنيمة الدنيا، وفريقًا يريد ثواب الآخرة. وتوزعت القلوب فلم يعد الصف وحدة، ولم يعد الهدف واحدًا، وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بُدَّ منه في معركة العقيدة. فمعركة العقيدة ليست ككل معركة؛ إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير؛ إنها معركة لله، فلا ينصر الله فيها إلا مَنْ خلصت نفوسهم له.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾

والقرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم... عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى نزل فينا يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.. وبذلك يضع قلوبهم أمامهم

مكشوفة بما فيها، ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها.[١]



مرة أخرى أقول لكم: «إن رسائل (ذاتك) للغير أبلغ من رسائل شخصيتك للغير، وذاتك أبلغ في التأثير على الغير مِمَّا تقول أو تفعل... وتأثيرنا في الناس ينبع أساسًا من إيماننا بما نقول أو نفعل».

الحسن البصري إمام عظيم، من التابعين، تعلم على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم.. كان يومًا جالسًا في بيته، فإذا ضجة على بابه فلما خرج وجد مجموعة من العبيد في ضيق شديد، وما أن رأوه إلا صاحوا:

يا إمام: نسى الناس ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فلم يعد في البصرة مَنْ يحرر العبيد، أين مواعظ العلماء التي تؤثر في الناس؟ تأثر الإمام بدعواهم ووعدهم أن يخطب في الناس ويحثهم أن يحرروا العبيد.

وينصرف العبيد فرحين كل يمني نفسه بالحرية، وتمر الجمعة بعد الجمعة ولم يتحدث الحسن البصري عن تحرير العبيد الذي أمر الإسلام به حتى ظن العبيد السوء فيه وقالوا: لقد نسينا الإمام كما نسيتنا كل الدنيا، وفي يوم الجمعة وقد ذهب العبيد إلى الصلاة ولا

(١) (في ظلال القرآن)،سيد قطب، ج ١ ص ٤٩٤ - ٧٥٧ باختصار.

أمل في نفوسهم إذا بالإمام الحسن البصري يخطب خطبة لم يسمعها رجل إلا وأسرع يحرر عبدًا، واجتمع العبيد أمام باب الإمام واختلط الشكر بالعتاب.

إذا كانت تلك قدراتك يا إمام، فلِمَ تركتنا تحت ثقل العبودية تلك الأسابيع الطوال؟!

ابتسم الإمام سعيدًا بفرحة الأحرار الجدد، وقال بهدوء قبل أن ينصرف:

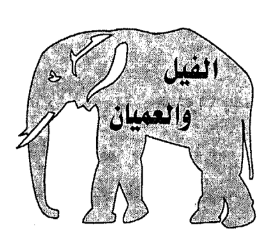
- كنت لا أملك عبدًا، ولم يكن لدي مال أشتري به عبدًا، فانتظرت أن يكون لي مال حتى أشتري به عبدًا فاشتريته، ثم مكثت وهو عندي حتى امتلأت نفسي بوجوده ثم أعتقته، فلما خطبت الناس كان كلامي عن فعل وسلوك لا عن قول وموعظة.

لله درك يا إمام!! هل يتعلم محترفو الكلام أن التأثير في الناس لا يمكث طويلا؛ فإن طلاوته لا بد أن يزول، ولكن بناء العمل باقٍ، ويظهر قبحه أو جماله بعد حين.




3


الخطوة الثالثة
النموذج
الإدراكي وقاعدة
الانطلاق
Paradigm



يُحْكَى أن عميانًا جاءوا إلى فيل وكانوا لم يروه أبدًا، فقال لهم الناس: صفوا لنا الفيل، فتقدموا إليه كلٌ يتناول جزءًا منه بالوصف..

فقال الذي أمسك ساقه:

- إن الفيل أسطوانة لحمية ضخمة ثابتة على الأرض.

وقال الذي مسح بطنه:

- لا.. إن الفيل وعاء جلدي ضخم معلق في الهواء.

وقال الذي أمسك خرطومه:

- لا.. لا هذا ولا ذاك؛ إن الفيل خرطوم ضخم متحرك.

وقال الذي أمسك أذنه:

- إنكم حقًا عميان، لا ترون ما أرى، إن الفيل مروحة جلدية ضخمة تتحرك هنا وهناك.

فهل وصفوا الفيل؟

وهل كذبوا في وصفهم؟

إنها الحقيقة؛ يعرضها كل منا من الزاوية التي يراها ويشعر بها.

خداع الحواس:

في كتابه القيم **(آفاق بلا حدود)** يقول الدكتور محمد التكريتي:[١]

«كل إنسان يدرك العَالَم مِنْ حوله بطريقته الخاصة، فيضع له خارطة في ذهنه ويرسم له حدودًا تختلف عن الحدود التي يرسمها غيره؛ هي عالمه الذي يدركه ويعيش فيه، وليس له عالم إلا هذه الخارطة.. قد تكون كبيرة أو صغيرة، وقد تكون مضيئة أو مظلمة؛ قد يجد الحصاة في الطريق يحسبها جبلا راسيًا يسد عليه منافذ الأفق، وقد يعترضه الجبل فيراه حصاة في طريقه مؤمنًا بشموخ عزمه أن الجبل دون قدمه».

ماذا يريد أن يقول لنا الدكتور التكريتي؟



هل يريد أن يقول أن رؤيانا للأشياء الظاهرة أيضًا ليست حقيقية؟!

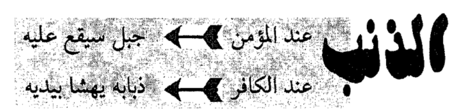
هل لابد أن تنظر إلى الأشياء من الداخل أيضًا كما نظرنا إلى أنفسنا من الداخل؟ لعله يريد أن يقول ذلك!

---

(١) هو أول من قرب مفهوم الـ NLP (البرمجة العصبية اللغوية) إلى العربية وسماها الهندسة النفسية وأخرجها من ممارسات غيبية روحية قد تدخل في الوهم والدجل إلى علم مفهوم له أصول وقواعد.

وتعالوا نرى شيئًا واحدًا يـراه شخصـان بشـكل مختلـف، ومـا العامل المؤثر في الرؤيا؟

عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قـال: «**إن المـؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال له هكذا فطار**».[1]



إن العامل الذي أثر في الرؤيا هو الداخل، هو الاعتقاد الراسخ (إيمان وكفر).

وكذلك يفهمها المتنبي عندما يقول:

وتعظـم في عين الصغير صِغَارُها

وتصغر في عين العظيم العظائمُ

هنا تختلف الرؤيا ...

فأشياء عظيمة تكون في عين رجل حقيرة، وأخـرى صغيرة تعظم في عين آخر، فما العامل المؤثر؟

إنه شيء في الداخل، إنه العظمة أو الصغر النفسي...

---

(1) رواه أحمد، كتاب (مسند المكثرين من الصحابة)، باب (مسند عبد الله بن مسعود).

وحتى يرق الكلام أكثر وتتناغم أجزاؤه تعالوا نرى ذلك الذي قام بين يدي الله يصلي فيستشعر الضيق ببذوغ الفجر لأنه حرمه من جوار مولاه ومناجاته..

أما ذلك المحب المهجور فإنه يرى الليل يطول حتى لا تكون له نهاية فيصرخ :

يا ليل الصَّبِّ متى غَدُه؟ أ قيام الساعة موعده؟!

الصفائح المعدنية:

أيضًا لا زلت أسأل: ماذا نريد أن نقول في هذه الفقرة؟

هل نريد أن نقول: إن العالم داخلنا هو غير العالم الذي نعيش فيه؟

إن هناك مجموعة صفائح معدنية غليظة داخل النفوس تخفي كثيرًا من العالم الحقيقي عنا، والمشكلة أننا مقتنعون تمامًا بأن العالم هو ما نراه ونسمعه ونحسه وليس شيئًا آخر!!

المجنون

وأذكر هنا طرفة سأقصها عليكم..

وقف أحد الجهلاء يعلم مجموعة صبية، فقال لهم: إن ما نؤمن به هو ما ندركه فقط، ثم ازداد في جهله وقال

متعَالِمًا: أسألكم: هل رأيتم الله؟ هل سمعتموه؟ هل لمستموه؟

والأطفال السذج يقولون خلفه: لا.. لا.. لا.

فقال: مبهورًا بجهله: إذًا هل الله موجود؟ بالطبع لا؛ لأننا لم نحسه وندركه!!

فقام أحد التلاميذ وقال:

⊙ يا معلم: هل رأيت عقلك؟

قال الرجل: لا.

⊙ قال: هل سمعه؟ هل لمسته؟ هل ذقته؟ والرجل يقول للطفل: لا.

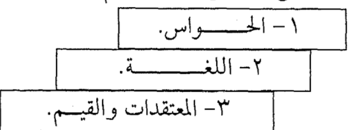
فقال الطفل في سذاجة وتَحَدٍّ:

⊙ إذاً أين عقلك يا أستاذ؟ هل أنت عاقل أم مجنون؟

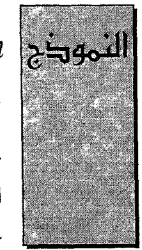
نعم.. اضحكوا معي كما ضحك الأطفال على هذا الساذج.

ونعود إلى أستاذنا التكريتي لنرى ما يقول:

«هناك ثلاثة عوامل تُحِدُّ من إدراكنا للعالم وتقيده:


١- الحـــواس.
٢- اللغـــة.
٣- المعتقدات والقيم.

إنها إذاً تلك الصفائح المعدنية التي تحجب عنا الكثير من العالم حولنا، فلا نستطيع أن نحكم إلا على ما نرى أو نسمع أو نعرف فقط.



Paradigm

نموذج نحكم به على الأشياء

نحن في النهاية نُكَوِّن من إدراكنا لِمَا تركته هذه الصفائح نموذجًا واضحًا ظاهرًا لنا نحكم به على الأشياء!

والسؤال الآن: هل ما تتركه الصفائح لي من إدراكات هو نفس ما تتركه لك أو لغيرك؟

إذا كانت الإجابة نعم فإن نموذجنا واحد، وكلنا نحكم على الأشياء بنفس الحكم، أما وإن ذلك لا يحدث في الواقع -والدليل قصة الفيل والعميان- فإن الإجابة هي: لا.

سماه **ستيفن كوفي** *Paradigm* (باراديم)، وهي كلمة يونانية تعني (النمط)، وترجمها الدكتور الدسوقي عمار إلى (النموذج) أو الانطباع.. وسماه هشام عبد الله (النمط السلوكي)، ذلك في ترجماتهم لكتاب (العادات السبع)، وأسميه أنا النموذج الإدراكي، وهو **الكيفية التي نرى بها العالم من حولنا.**

الرؤيا والبصر

وهناك فرق بين الرؤيا والبصر؛ فالبصر هو وظيفة العين.. يقول تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥].

ويقول تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما الرؤيا فهي من الرأي؛ أي وجهة النظر، وقد يستخدم كل منها مكان الأخر ولكن ما نقصده هنا بالرؤيا هي عمليات ثلاث، مبني كل منها على الآخر، ويقوم بها النموذج الإدراكي *Paradigm* مع العالم من حولنا.

١- الإدراك *Perception*

٢- الفهم *Understanding*

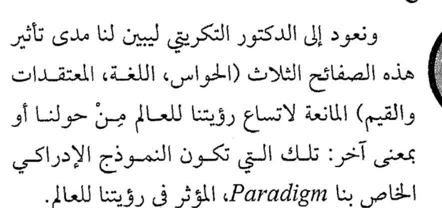
٣- التفسير *Interpreting*

وبهذه الرؤيا الثلاثية تتبلور افتراضاتنا عن العالم من حولنا، ومن هذه الافتراضات ينمو السلوك نحو العالم وتتشكل اتجاهاتنا.

تذكر

(**النموذج الإدراكي**)
Paradigm
هو الكيفية التي نرى بها العالم مِنَ حولنا
نرى ☜ الإدراك
نرى ☜ الفهم
والرأي ☜ (وجهة النظر) التفسير

الصفائح



ونعود إلى الدكتور التكريتي ليبين لنا مدى تأثير هذه الصفائح الثلاث (الحواس، اللغة، المعتقدات والقيم) المانعة لاتساع رؤيتنا للعالم مِنْ حولنا أو بمعنى آخر: تلك التي تكون النموذج الإدراكي الخاص بنا *Paradigm*، المؤثر في رؤيتنا للعالم.

ويضع قاعدة مبدئية فيقول:

«لكل إنسان طريقته الخاصة في التفكير، وإذا ما استطعت أن تعرف كيف يفكر هذا الشخص فإنك تستطيع أن تتعامل معه بسهولة».

وكثيرًا ما قلنا من قبل: إن متعة النجاح قائمة على إدارة الذات وليست إدارة الآخر.

فيكون معنى هذه القاعدة: «إن لكل إنسان النموذج الإداركي الخاص به، فإذا استطاع تغيير النموذج الإدراكي وتوسيعه إلى الأفضل فإنه سوف يستمتع بالعلاقات والنجاح والحياة».

والآن.. هل تريد أن تتعرف على أنواع من هذه الصفائح التي سماها الدكتور محمد التكريتي (العتبات)؟

الصفائح الأولى عتبات الحواس

هي منفذ العقل إلى العالم، ولكن قدراتها محدودة، ولها ثلاث عتبات تنغلق بعدها الأبواب:

١- **عتبة الإحساس**: وهي الحد الأقصى لإحساس الحواس بالأجسام؛ فالعين تبصر شمعة على بعد ١٠ أمتار، والحد الأقصى لها أن تبصرها على بعد ٤٥ كم في الليلة المظلمة.

والأذن تسمع دقات الساعة في يدك ولا تسمعها بعد سبعة أمتار في الجو الهادئ كحد أقصى، ولولا عتبة الإحساس ما أصبحنا في حاجة إلى التلسكوبات والمجهر ومكبر الصوت ... وغيرها.

ولا يعني أن شيئا لا تراه أن تُكَذِّب من يقول لك أنه يراه، فقد تكون عتبات الإحساس عنده أوسع بشكل ما.

٢- **عتبة الفروق**: وهي قدرة الحاسة الواحدة على إدراك الفرق بين المحسوسات كقدرة اليد كحاسة لمس أن تدرك الفرق بين الناعم والخشن، وكقدرة الأذن كحاسة سمع أن تدرك الفرق بين الصوت العالي والمنخفض.

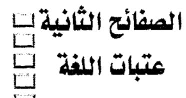
وهذه العتبة تجعلنا نلجأ إلى الميزان والمسطرة والترمومتر فيما لا تستطيع حواسنا تفريقه وإدراكه.

٣- **عتبة الطيف**: وهي قدرة الحاسة على إدراك الظاهرة في

المستويات المختلفة؛ فالأذن لا تسمع الصوت إذا كان أقل من ٢٠ ذبذبة في الثانية وأكثر من ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية.

ولذلك فنحن لا نسمع الأمواج فوق الصوتية *Ultrasonic* وإن كانت هناك مخلوقات أخرى تسمعها مثل الخفاش، ولا نرى الأشعة فوق الحمراء *Infrared* ولا تحت البنفسجية *Ultraviolet*؛ لأنها أقل أو أكبر من موجات الطيف التي يستطيع أن يراها الإنسان.

والخلاصة: إن مجرد البصر أو السمع ليس دليلا على عدم وجود شيء آخر غير الذي تسمعه أو تراه.



وهي إحدى مرشحات المعلومات الداخلة إلى العقل، ولها ثلاثة ثقوب إدخال أساسية:

◎ الثقب الأول: التعميم *Generali zation*

وذلك أن البعض عندما يحكم على حادثة معينة يعمم نتيجتها؛ كأن يقول عندما يخونه صديقه: «لا يوجد أصدقاء مخلصون في هذا العالم»، أو يقول عندما يجد سلعة ارتفع سعرها: «لقد ارتفعت الأسعار جدًّا».

لا تجد أكثرهم

والله -سبحانه وتعالى- يعلمنا في قرآنه فن الحصر، فنجده سبحانه يقول: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]

وإن تعجب فالعجب كل العجب من ذلك الاستثناء في تلك الآية..

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]

فمن هؤلاء؟!

إنهم قوم كفار، جمعوا جميع المؤمنين في مدينتهم ولم يبقوا منهم أحدًا، وحفروا لهم أخاديد في الطرقات، وأضرموا فيها النار، وأمروهم أن يرجعوا عن إيمانهم بالله الواحد الأحد، فمن يأبى كانوا يقذفونه في أخاديد النار، حتى إن أمًّا ترددت أن ترمي نفسها في النار لأن رضيعها على كتفها، فقال لها الرضيع: (تقدمي يا أمي؛ فإنك على الحق).. ويرصد الله -تعالى- في القرآن قصتهم.. يقول تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤-٨].

فإذا أراد الله أن يبين مصيرهم ويظهر غضبته على فعلهم لم يعمم، وإنما استثنى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾

وتقول لكل مندفع إلى التعميم:

«التعميم يضر المتكلم».

ويقول د. التكريتي: **«التعميم يقلل من الدقة التي تدرك بها العالم».**

وأقـول: **«التعميم يدل على النموذج الإدراكي المشوَّه داخلنا، والذي نحكم به على العالَم من حولنا».**

◎ الثقب الثاني: الحذف *Deletion*

وأسوأ العبارات في اللغة والخطاب، والتي يَقِلُّ فَهْمَ المقصود منها هي المبنية للمجهول:

كأن تقول: ضُرِبَ عليٌّ!

فمن الذي ضرب عليًّا؟ ولماذا ضربه؟ وبأي أداة ضربه؟ وأين ضربه؟

إنها مجموعة أسئلة تحتاج كلها إلى إجابة حتى نستطيع أن نحكم على أو لِمَن؟

والله يُعَلِّم القضاة كيف يحكمون في القضية من خلال عدم حذف أيٍّ من الخصوم، وذلك من خلال قصة نبي الله داود مع

الرجلين المختصمين.. ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[ص:٢١-٢٣]

وهنا انتهى العرض، وحذف داود الخصم الآخر تمامًا إذ لم يستمع داود إلى الطرف الآخر، وأصدر الحكم مباشرة بعد سماع القصة من أول خصم...

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وهكذا كوَّن داود -عليه السلام- النموذج الإدراكي الداخلي له من طرف واحد، فحكم له، ولكنه أسرع: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وسماه الله -تعالى- هوى، وعاتب داود عليه لأنه نبي، ثم وضع له حدود وظيفته بعد هذه الحادثة؛ وهي أن يحكم بالحق ولا يجذبه طرف فيحذف الآخر﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[ص: ٢٦].

ولذلك يقول ﷺ : «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا**».(١)

 الثقب الثالث: التشويه *Distortion*

بمعنى استخدام المصطلح دون معرفة حدوده وطرق قياسه، ولذلك أمر النبي ﷺ مَنْ يريد أن يتزوج أن ينظر إلى مَنِ اختارها، ولا يكتفي بوصف أحد قد يشوه الصورة، أو يعطي صورة غير حقيقية.

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنظَرْتَ إليهَا؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَانْظُرْ إليهَا؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا**».(٢)

فإن مقياس الشكل نسبي؛ فلا تستطيع أن تحكم على شكل لمجرد أن يصفه أحدهم لك؛ كأن يقول مثلا: هي جميلة أو رائعة أو ممتازة.. بمقياس مَنْ؟

وتزعجني بعض النساء واللاتي يقدمن فتاة للخاطب بقولهن: إنها (ذي القمر)، وهل رأينا القمر؟! فكيف لو رأوه؟!

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الشهادات)، باب (من أقام البينة بعد اليمين).
(٢) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (إباحة النظر قبل التزويج).

فاللغة هـي وعـاء المعلومـات، وأي خطـأ أو نقـص في التعـبير باللغة يشوه إدراكنا للحقائق الـتي نتناقلـها بيننـا؛ بـل ويتلاعـب في النموذج الإدراكي الخاص بحكمنا على العالم مِنْ حولنا.

الصفائح الثالثة المعتقدات والقيم

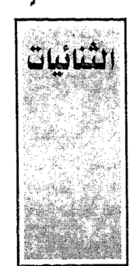
وهي أصل هذا البحث وعمـوده وذروة سنامه، وهـي مـا سنتوسـع في الحديث عنها بعد قليل..

ولكن نقف وقفة حول التعريف؛ فالمعتقد عندما يطلق يعني المعتقد الديني نحو الله والغيـب... والقـيم عندما تطلق تعني الأخلاق الـتي يريـدها الـدين. وعنـدما نريـد أن نعرض تأثير النموذج الإدراكي فإن الكلام سيكون أكثر تعميمًا.

إن المقصود بأن المعتقـد أو الإيمـان أو القـيم تـؤثر في نموذجنـا الإدراكي الذي نحكم به على العـالم مـن حولنـا هـو المعنـى العـام للكلمة الذي يدخل فيه ما بَيَّنا من أثر المعتقد الديني، بالإضـافة إلى كل ما يرسخ في الضمير من آثار البيئة والتربية والعادات والتقاليـد والتجربة، فكل هذا يُكَوِّن لـدينا معتقـدًا، ويعمـم معنـى مصـطلح الإيمان إلى أوسع من الإيمان الديني..

فعندما نقول: إن فلانًـا يـؤمن بـأثر وسـائل الإعـلام في تربيـة الأبنـاء «أو» أن فلانًـا يعتقـد بقـدرة الحاسـب الآلـي علـى إنجـاز

الأعمال بدقة وسرعة، فهذا ما نعنيه بتأثير الإيمان والقيم على النموذج الإدراكي؛ لأننا نسعى هنا إلى تغيير النموذج الإدراكي كي نغير أنفسنا من منطلق الأمل الذي بعثه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].



وهذا لا يعني إهمال النظر إلى الاعتقاد الديني، فكم من معتقدات ظهر مع البحث والتدقيق أنها تحتاج إلى إعادة هدم وبناء؛ بسبب ما تراكم عليها من آثار العادات والتقاليد بمرور الزمن.. وأقرب مثال إلى ذلك تلك الثنائيات المتضادة العجيبة الموجودة في قلوب كثير من المتدينين.

ومن هذه الثنائيات المتضادة في أفهام الكثيرين رغم عدم تضادها وإنما تكاملها :

١- **ثنائية الدنيا والآخرة**.. وهل يعني حب أحدهما بُغْض الآخر، أو هل يعني الاهتمام بأحدهما إهمال الآخر؟!!

٢- **ثنائية الفقر والغنى**... حيث يظن البعض أن الإسلام يحب الأول ويكره الثاني.. وأنه يفضل الأول ويهمل الآخر... والرسول ﷺ يقول لعمرو بن العاص: «نِعِمَّا بالمال الصَّالح للرجل الصالح».[1]

---

(1) رواه أحمد، كتاب (مسند الشاميين)، باب (باقي حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ).

٣- ثنائية التوكل والعمل؛ حيث يفترض البعض أن التوكل الذي يحبه الله هو ترك العمل وإهمال الوسائل أو العكس، أو أن الأخذ بهما هو ضعف في التوكل.

٤- ثنائية المرأة والرجل؛ حيث المعركة المشتعلة لإثبات فضل أحدهما على الآخر، على الرغم من أن الإسلام قد وضح دور كلٍّ منهما، وخلق الله في كل منهما من المميزات ما يساعده على أداء دوره.

وكذلك لا يعني النظر في الأخلاق والمبادئ إهمال أنه كم من أخلاق تحتاج منا إلى إعادة تعريف؛ ذلك لسوء استخدامها أو التطرف فيها مثل كلمة: طيب ومتساهل ومتشدد وغيرها.

عمومًا فإن المعتقدات والقيم وخلفيات التطور، وما نؤمن به من كل هذا يؤثر في صياغة نموذجنا الإدراكي الذي نحكم به على الأشياء حولنا، فنرفض أمورًا ونقبل أخرى بناءً على تلك المعتقدات، وقد يكون فيما نرفضه خير كثير، وفيما نقبله شرٌّ كبير، ونحن في الحالين لا نعلم.. **﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** [البقرة: ٢١٦]

ويضع الإنسان لنفسه حدودًا وقيودًا بسبب ما يؤمن به، بِغَضِّ النظر عن صحة هذا الذي يؤمن به أو باطله، وفي إمكانه توسيع تلك الحدود ورفع تلك القيود إذا راجع إيمانه ومعتقده، فيتسع

بذلك نموذجه الإدراكي. ومن أبسط المراجعات ترتيب القيم وتحديد أولوياتها؛ فقد يكون ترتيبها على شكل هرم يؤثر كثيرًا في نموذجنا الإدراكي؛ حيث أنه محدد الأولويات، وماذا أرفض وماذا أقبل. ويمكن بإعادة ترتيب هذه القيم أن تتسع خريطة العالم في أذهاننا، وتضيق حسب الترتيب الجديد، فيتسع بذلك نموذجنا الإدراكي.



ونعود إلى الإدارة من الداخل، وكيف نصل إلى متعة النجاح.

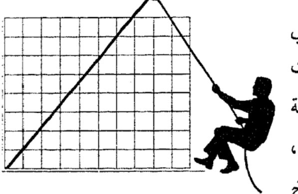
فبعد أن تعرفنا على أنفسنا كما يجب أن تكون في الخطوة الأولى، ثم عرفنا المدخل الصحيح للنجاح، وأنه النجاح القائم على القيم والمبادئ وعدم مخالفة الظاهر للباطن في الخطوة الثانية.

وتعرفنا على معنى النموذج الإدراكي *paradigm*، الذي نحكم به على الأشياء مِنْ حولنا، نريد أن نقول الآن:

إن النموذج الإدراكي هو الخريطة التي نستدل بها على الطريق الصحيح؛ فالخريطة الخاطئة لا تدلنا على الطريق الصحيح...

فإذا كان المطلوب هو تحقيق تغييرات جوهرية في حياتنا، فلا بد من مراجعة خريطة نموذجنا الإدراكي وتغييره وتعديله.

وكلنا يعلم أن الخريطة ليست هي الأرض ذاتها، ولكنها شرح وتوضيح لبعض خصائص ومسالك الأرض، وكذلك النموذج الإدراكي ليس هو العَالَم من حولنا كما هو عليه، ولكنه إدراكنا وفهمنا وتفسيرنا لهذا العالم.



ومتعة النجاح تأتي بالسعي إلى تغيير الاتجاهات بالتفكير الإيجابي، ومحاولة تصحيح النموذج الإدراكي، فيكون نجاحًا أثبت وأرسخ وأدق وبأقل تكلفة.. يكون نجاحًا فعَّالا وتكون سعادة، وعندها يصبح السلوك بناءً على النموذج الجديد.

أما إذا كان الاجتهاد في تغيير السلوك دون التعامل مع النموذج الإدراكي فقد نصل إلى النجاح، ولكن نجاحًا سريعًا يزول بسرعة، نجاحًا بلا سعادة.

فلا بد أن نفهم نمطنا الخاص لنموذجنا الإدراكي الخاص، وذلك لكل حالة وموقف، وكيف نستطيع تغييره إذا احتجنا ذلك.

ومعنى تغيير النموذج الإدراكي عند رغبة التغيير هو ما يمكن أن نفهمه من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].



في عقل كل منا خرائط كثيرة جدًّا يمكن تقسيمها إلى قسمين:

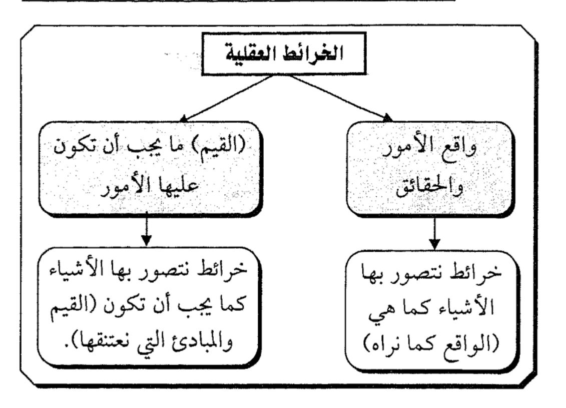
- خرائط نتصور بها الأشياء كما هي، (أي الواقع كما نراه).
- خرائط نتصور بها الأشياء كما يجب أن تكون؛ (أي القيم والمبادئ التي نعتنقها)

ونحن نقوم بتفسير ما نراه في هذه الحياة تبعًا لتلك الخرائط الموجودة في عقولنا. والكثير منا يشك في وجود هذه الخرائط، ويفترض أن ما يراه هو الواقع فعلا، وليس هو (تصوره الشخصي) لهذا الواقع، أو تفسيره له.

تذكر دائماً أن!!

- نموذجك الإدراكي يبلور افتراضاتك عن العالم مِنْ حولك، ومن هذه الافتراضات ينمو سلوكك وتتشكل اتجاهاتك.

- وانطباعاتك عن الغير تنبع من نموذجك الإدراكي عنه، وقد تتعدل الكثير من مواقف الحياة نتيجة تغير النموذج الإدراكي، والعكس.



ونعود لنحكي قصة الفيل والعميان !!

المشكلة أننا نفترض أن الطريقة التي نرى بها الأشياء هي ما هي عليه حقيقة، أو ما يجب أن تكون عليه.

إننا نفسر كل ما نراه في الحياة تبعًا لتلك الخرائط في عقولنا، بغض النظر عن مدى صدقها أو دقتها.

ونفترض أن ما نراه هو الواقع فعلا، الذي لا بُدَّ أن يراه الآخرون، ونختلف مع هؤلاء الآخرين.. لماذا؟ لأننا نحن وهم نرى الأشياء ليست بواقعها وإنما بتصورنا لها أو بتفسيرنا لها، ثم تأتي تصرفاتنا ناتجة عن الطريقة التي نرى بها الأشياء.


4


الخطوة الرابعة
قوة
تغيير
النموذج
Effect of Paradigm

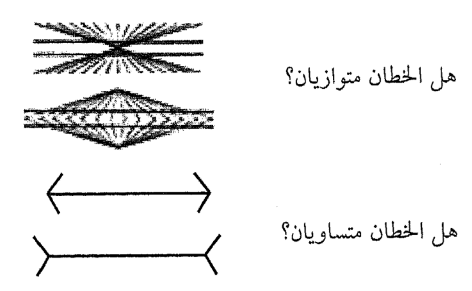
خداع الحواس:

في الخطوة السابقة كانت الحواس هي أول الصفائح الخارجية التي تحجز عنا الكثير من العالم حولنا، أو هي عامل مهم من عوامل رسم الخريطة الذهنية أو النموذج الإدراكي الخاص بنا.

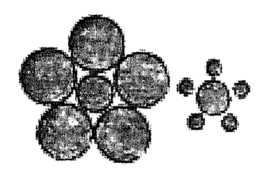
وتعرفنا على عتبات الحواس الثلاث، ورأينا من خلفها كيف تنغلق كثير من الأبواب أمامنا لتحجب الكثير من العالم حولنا فلا ندركه بحواسنا.

اللعب الجاد

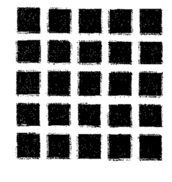
وفي هذه الخطوة أحب أن أبدأ ببعض الألعاب، ولا مانع من بعض المرح ... هيا انظر إلى الأشكال التالية:



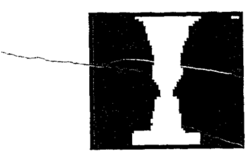
هل الدائرتان في الوسط متساويتان؟



هل ترى البقع الداكنة عند تقاطع الأشرطة البيضاء؟



ماذا ترى في هذه الصورة؟

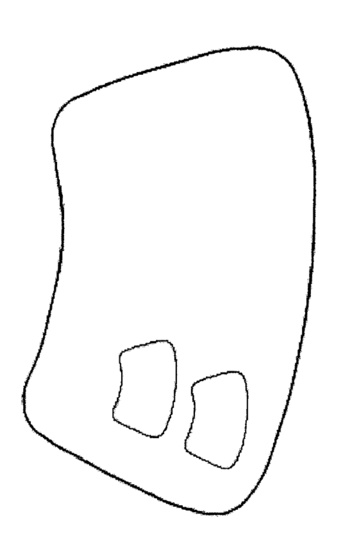


راجع الصور السابقة مرة أخرى وتأمل جيدًا، وابحث عن الخدعة (استخدم أدوات قياس..)

ستجد الخطين متوازيين في الصورة الأولى، ومتساويين في الثانية.. والدائرتين متساويتين في الثالثة، ولا توجد أي بقع سوداء في الرابعة.. وليس كأسًا ما ترى، إنما وجهان متقابلان أو العكس في الصورة الخامسة.

حبات الفول

لقد أعجبتك اللعبة، إذا تعالَ نلعب لعبة أخرى:



١- انقل على ورقة بيضاء قوية صورة حبة الفول المرفقة، واعمل منها نسختين.

٢- ضع النسختين بعضهما على بعض.. ماذا رأيت؟ إنهما متساويتان.

٣- ضع النسختين متجاورتين كما هو مبين في داخل الرسم. ماذا رأيت؟ إنهما غير متساويتين!!

٤- ضعهم مرة أخرى فوق بعضهم البعض... ماذا ترى الآن؟ إنهما متساويتان مرة أخرى!

ما رأيك؟

نفس الشيء.. وحقيقتان مختلفتان!

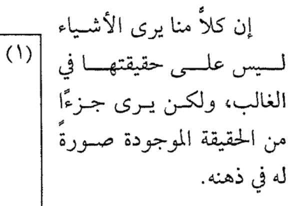
٥- يمكنك تكرار اللعبة مع عمل ثلاث صور ومقارنتها.

تمتع بإبهار أصدقائك بهذه اللعبة، ولكن لا تنسَ:

أن ما نراه ليس هو الحقيقة الكاملة؛ فقد يرى آخرون جزءًا لا نراه.

تجربة ذهنية عاطفية

وهذه لعبة أخيرة تؤكد ما نريد أن نصل إليه:


إن كلاً منا يرى الأشياء ليس على حقيقتها في الغالب، ولكن يرى جزءًا من الحقيقة الموجودة صورةً له في ذهنه.

انظر إلى هذه الصورة جيدًا.. ماذا ترى؟

تأمل فيها جيدًا، ثم اقلب هذه الصفحة إلى الصفحة التالية..


(١)



انظر إلى هذه الصورة..
ماذا ترى؟

هل ترى صورة امرأة؟

هل هي شابة؟ هل هي نفس الصورة السابقة؟ ما الاختلاف؟

ماذا ترتدي هذه الشابة؟ ما أهم ملامحها؟ ما تعبير وجهها (الحزن أم الرقة والسعادة)؟

و الآن اسمع هذا السؤال، ولا ترفع عينك عن الصورة.

هل ترى صورة أخرى داخل الرسم؟

حتى أساعدك:

تذكر الصورة رقم (٥) في لعبتنا الأولى في هذا الفصل..

ألم تَكُ تحتوي على أكثر من صورة في لوحة واحدة؟

إذا كنت لا تزال لا ترى إلا صورة الشابة..

تأمل أكثر وأنت تستمع إلى سؤالي التالي:

هل ترى صورة امرأة عجوز؟

لا تتعجب؛ نعم.. عجوز

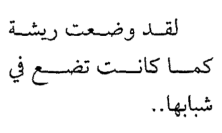
إذا كنت رأيتها فحدد ملامحها

أما إذا كنت لم تَرَها إلى الآن فتأمل أكثر..

ألم تلاحظ أنفها الكبير؟!

ألم تلاحظ فمها الخالي من الأسنان، وذقنها المدفون في الفروة السوداء.





لقد وضعت ريشة كما كانت تضع في شبابها..

تأمل أكثر وأكثر

لا تتضجر ...

٣- انظر الآن إلى الصورة المرفقة وتأملها جيدًا

٤- ارجع إلى الصورة الأولى ، وتأملها جيدًا.

هل رأيت المرأة العجوز الآن؟ حدد ملامحها..

هل لا زلتَ ترى المرأة الشابة؟

قد تكون لَمْ تَرَ المرأة العجوز إلى الآن، تأمل قليلا فسوف تراها بأقل مجهود ممكن بعد مراجعة الصور الثلاث ومقارنتها.

العب مع أصدقائك

١- قَسِّم أصدقاءك فريقين..

٢- الفريق الأول أعطه الصورة (١) (صورة الفتاة الشابة)

٣- الفريق الثاني أعطه الصورة (٣) (صورة السيدة العجوز)

٤- اتركهم لدقيقة يتأملون في الصور، وحاول أن تطرح بعض المفاتيح حولها؛ مثل: لاحظ الفم، لا تنسَ التدقيق في الأنف، لاحظ وضع الفرو على الأكتاف.

٥- الآن اعرض على الفريقين الصورة (٢) المجمعة، واسأل: ماذا يرى كل فريق؟

٦- اهدأ عندما يحتدم النقاش، وحاول أن تفك الاشتباك.

٧- استمتع بمعركة الخرائط الذهنية لمدة خمس دقائق.

٨- استبدل الصورة (١)، (٣) بين الفريقين ... يا لها من روعة أن تنكشف الحقائق، وتظهر أجزاء الحقائق التي أخفتها الصفائح.

ماذا حدث؟

إن شخصين عاقلين يمكن أن يريا شيئين مختلفين في نفس الصورة الواحدة.

والغريب أن كلا منهما على حق!

والغريب أن كلا منهما سيتهم الآخر في وجهة نظره؛ لأن كلا منهما حكم بالخريطة الذهنية لديه.

مَنْ رأى الصورة (١) (صورة الفتاة الشابة) قد تكونت في ذهنه خريطة للحسناء فلا يرى غيرها، وليس مستعدًا لتغيير ما رأى مهما اعترض عليه أحد، وكذلك الآخر.

ولكن عندما تغيرت الخريطة بتبادل الصور حدث الاتفاق!

هذا في صورة لمدة ثوان، فما بالكم بالصورة التي انطبعت لدينا وتعودنا عليها عمرًا طويلاً؟

وهذه التجربة تعني:

١- مدى قدرة الظروف في التأثير على تصرفاتنا وتصوراتنا وأنماطنا السلوكية.

فإذا كانت ثواني الرؤيا للصورة الفردية جعلتنا لا نرى إلا ما رأينا من قبل، فكيف بظروف تشمل العمر كله؟

إن المؤثرات التي مرت في حياتنا شاركت في تشكيل التصورات التي نتخذها كمرجع وكنمط سلوكي وخارطة.

٢- إن تلك الأنماط السلوكية التي تشكلت من مؤثرات الماضي هي مصدر مواقفنا وتصرفاتنا، ولا يمكننا أن نعمل بجدارة خارجها.

٣- إن محاولة تغيير التصرفات الخارجية لا يفيد كثيرًا على

الأمد الطويل إذا ما فشلنا في تغيير مصدر هذه التصرفات؛ أي (النمط الأساسي).

٤- نحن لا نرى العالم كما هو؛ بل كما نراه من خلال مواقعنا المختلفة عن مواقع الآخرين، وبالتالي فإن الآخر يرى من خلال موقعه، فإذا اختلفتما وأردتما أن تتفقا فتبادلا المقاعد.

انتبه

٥- عندما تبدأ في وصف ما تراه، فأنت لا تصف إلا نفسك وتصورك ونمطك، وحينما يختلف الآخرون معك فلا تتهمهم، فلا عيب فيهم إلا أنهم لا يرونك أنت بل يرون أيضًا أنفسهم.

ولا يخرج من هذا المأزق إلا أصحاب الخبرات الفذة.

الحق المجرد

ولكن ألا توجد حقيقة مجردة؟

هل كل الظواهر تُفَسَّر من خلال وجهة نظرنا؟

أقول

لا.. هناك حقيقة مجردة متسعة في هذا الوجود، والمشكلة أننا نعرض وجهة نظرنا حول المساحة المكشوفة لنا، ونقاتل على أنها الحقيقة كلها، وغيرنا يقاتلنا على الجزء الذي يراه منها.

والحل:

١ – أن تتحد وجهة نظرنا، فنرى بنفس الخريطة، فنرى نفس المساحة ونتفق على أنها الحقيقة.

٢– أن نتفق على أن الحقيقة أوسع من رؤيتنا فنتكامل.

فهل مَنْ رأى صورة (الفتاة الشابة) كان يتخيل أن الصورة فيها شكل آخر؟

الحقيقة المجردة موجودة، ولكن تختلف رؤيتنا لهذه الحقائق من خلال اختلاف تجربتنا أو خبراتنا السابقة، وبإضافة تصوراتنا بعضها إلى بعض تتسع الحقائق.

إن مشكلة العميان قد يحلها حرف الواو حيث يضيف كل منهما رأيه إلى الآخر، فتتكون أقرب صورة إلى الفيل.

٣– وحتى تكون نظرتنا أكثر موضوعية يجب علينا:

أ– الفحص الدقيق لكل ما يقوله الآخر.

ب– الفحص الدقيق لوجهة نظرنا.

ج– إلغاء الأحكام المسبقة.



إن كلا منا يظن أنه يرى الأشياء بنظرة (موضوعية)، بينما الواقع أننا نرى الأشياء بنظرة «شخصية» معظم الوقت، نراها من خلال تجاربنا التي مرت بنا نحن من قبل وليس من خلال تجارب غيرنا.

تجربة (الآه)
أو تجربة الدهشة
(AAAH!)
experiance

والآن أسألك: ماذا كان أول تعبير لك عندما اكتشفت الجزء الآخر من الصورة؟

وماذا كان تعبير كل فرد من أصدقائك عندما كان يكتشف الجزء الآخر من الحقيقة؟

نعم هو تعبير واحد ولفظة واحدة؛ كان التعبير هو الدهشة على الوجه، واللفظة هي (آآآه).

فمعرفة الجزء الآخر المخفي من الحقيقة ضوء يشتعل فجأة داخل الإنسان؛ إنها كلمة (وجدتها) التي أطلقها أرشميدس عندما حل مشكلة التاج الذهبي.[1]

وهي كلمة التوحيد التي يطلقها مَنْ تَعَرَّف فجأة على أن للكون إله.

توماس كوهن ألف كتاب سماه (**بنية الثوارت العلمية**)[2] وكان أول من استخدم تعبير (تبدل النمط السلوكي)، وبيَّن فيه أن كل اختراق في مجال العلم سبقه اختراق للتقاليد ولطرق التفكير القديمة والأنماط القديمة.

---

(١) انظر قصته في كتاب (بلا ندم) من هذه السلسلة (إدارة الذات) للمؤلف.

(2) من سلسلة (عالم المعرفة) التي تصدرها وزارة الثقافة الكويتية.

بين الحسن بن الهيثم وجاليليو

كانت النظرية القديمة للرؤيا هي أن ضوءًا ينبعث من العين فترى الأشياء، ولكن الحسن بن الهيثم جاء بنظرية جديدة عكس الأخرى تمامًا؛ أن الأشياء هي التي تبعث الضوء المنعكس عنها إلى العين لترى الأشياء.

في البداية كانت الخريطة الذهنية عند الناس منضبطة مع النظرية القديمة، ومع تحريك بسيط لهذه الخريطة حدثت القناعة.

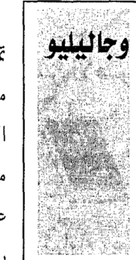
عندما تمتلك الشجاعة على تغيير نظرتك إلى الأمور، فاعلم أنك في طريقك لاكتشاف رائع لم يكن لك على بال. إن تغيير النموذج (النمط) يعني غالبًا اكتشافًا جديدًا، كل ما في الأمر أن ابن الهيثم طرح سؤالا: أنه إذا كانت العين تبعث ضوءًا فلماذا لا نرى في الظلام؟!

فكانت تجربة الدهشة (آه)، واقتنع الناس حيث أن الأمر لم يكن غريبًا؛ لأن ابن الهيثم لم يقدم شيئًا مخالفًا لعقيدتهم؛ بل لم تَتَبَنَّ عقيدتهم يومًا نظرية كونية واعتبرتها دينًا تكفر مَنْ يتناقش حولها؛ بل هي عقيدة بنيت في كتابها ﴿**انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس: ١٠١].

﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الرعد: ١٩]

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

فكان سهلا عليهم تغيير النمط الداخلي



أما بالنسبة لجاليليو فإن الأمر كان مختلفًا تمامًا؛ فإن الأنماط الذهنية عند الناس حوله كانت منغلقة تمامًا على العلم، وقد اعتبرت الكنيسة أن البحث في الطبيعة والفلك حِكْر عليها، وما تتبناه من نظريات يعتبر دينًا؛ حيث أن الصراع كان على أشده بينها وبين جيرانها المسلمين الذين برعوا في تلك العلوم، مما هدد عقائد الكنيسة.

وكان جاليليو يشتغل بأبحاثه في الفلك منذ سنة ١٦١٠م في فلورنسا (إيطاليا) ولبث أعوامًا طويلة يعمل على إذاعة نظرياته الجديدة عن دوران الأرض واستقرار الشمس وسط الكون.. وكان هذا مخالفًا لِمَا تتبناه الكنيسة (أن الأرض هي الثابتة والشمس تدور حولها).

والسؤال الذي يخطر على البال: هل يؤثر في عقيدة الناس أن أحدهما هو الذي يدور حول الآخر؟ فخالقهما واحد، وفي كلتا الحالتين والدوران دلالة على قوته سبحانه وتعالى؛ بل والأمر كله لا يتعدى النظرية التي تحتاج إلى برهان، ولكنه النموذج الذهني المبني على الاعتقاد والرفض الكامل للتغيير.

أو هو أسلوب الثقافة الذي يقوم على إخفاء الرأس في الرمال (رفض التغيير)، وعداء كل مَنْ يقترب منها (مقاومة التغيير).[١]

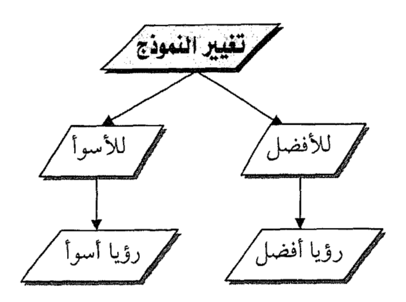
فأصدر البابا عام ١٦١٦م قرارًا ينقض نظريات جاليليو ويحرمها، واعتبرها فلسفة مضحكة واجتراء على النصوص المقدسة..كما ينصح جاليليو بالكف عن دعواه، ولكنه استمر يدلل على صدق نظرياته وأصدر كتابه الرائع **(محادثات عن الأصول العلمية)** سنة ١٦٣٢م، فاستقبل بعاصفة من الترحاب والحماسة في جميع أنحاء أوروبا.

وهنا ثارت ثائرة الدوائر الكنسية، وحرم الكتاب، وجمعت نسخه لتحرق.. ودعي جاليليو للمثول أمام ديوان التفتيش (نفس محاكم التفتيش التي حاكمت المسلمين في أسبانيا)، وكان عُمْر جاليليو حينئذ فوق السبعين.. فاعتقل ومَثُلَ أمام الديوان، وقيل أنه عذب بشدة أو هدد بالتعذيب، فأنكر كلَّ ما قال فحكمت المحكمة (بأنه مشتبه في كفره شبهة قوية) وقضت باعتقاله، وأن يقوم أسبوعيًّا بصلوات التوبة لِمُدَّة ثلاث سنوات، وعندما خرج جاليليو من سجنه بعد أيام ورحل إلى فلورانسا مرة أخرى كانت أول تصريحاته أن الأرض لا زالت تدور حول الشمس.[٢]

---

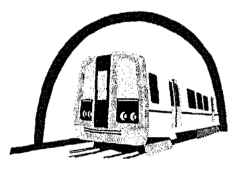
(١) انظر (إدارة العقل)، د/ جيلان بتلر، ود/ كوني هوب، مكتبة جرير، ١٩٩٨م.

(٢) انظر (ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى)، تأليف محمد عبد الله عنان، لجنة التأليف ص ١٩١٤، طباعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م.



ولكن على كل حال فإن تغيير النموذج ينقلنا دائمًا لنرى العالم بأعين جديدة لم نره بها من قبل، وتقودنا إلى قوة تغيير هائلة.

في انتظار القطار



يحكي لنا كوفي قصة حدثت له شخصيًا يقول: أذكر تبدلا نمطيًا محدودًا تعرضت له صبيحة يوم أحد في نفق في نيويورك..

كان الناس يجلسون بهدوء بعضهم يقرأ صحيفته وبعضهم سارح بأفكاره، والبعض الآخر يستريح مغمض العينين... كان منظرًا هادئًا مسالمًا، ثم فجأة دخل رجل مع أولاده النفق، وكان الأولاد على درجة من الفوضى والمشاكسة؛ بحيث تغير الجو كله على الفور.

جلس الرجل إلى جانبي وأغلق عينيه متجاهلا كل ما يحدث، وكان الأطفال يركضون جيئة وذهابًا، ويقذفون بالأشياء ويختطفون حتى الصحف من أيدي الناس، وكان الأمر في غاية الإزعاج.. ومع ذلك لم يفعل أبوهم الجالس إلى جانبي شيئًا.

كان من الصعب ألا يشعر أحد بالتوتر، ولم أستطع أن أصدق أن يكون هذا الأب عديم الإحساس؛ بحيث يترك أولاده يتصرفون على هواهم دون أن يفعل شيئًا أو يتحمل أية مسئولية.

وكان من السهل أن نرى التوتر قد سيطر على كل شخص في النفق، وفي النهاية التفت إليه وقلت بعد صبر وكبت غير عادي لمشاعري: «سيدي»، إن أولادك يزعجون العديد من الناس فعلا... وأتساءل إن كان بإمكانك ضبطهم قليلا؟

فتح الرجل حدقتيه كأنه يعي الموقف لأول مرة وقال بنعومة: (آه) أنت على حق، أعتقد أن عليَّ أن أفعل شيئا، لقد عدنا لتوِّنا من المستشفى حيث توفيت أمهم، قبل حوالي ساعة ولا أعرف ما أفعل، وأعتقد أنهم لا يعرفون كيف يتقبلون الأمر أيضًا.

هل تستطيع أن تتصور شعوري في تلك اللحظة؟

لقد تبدل نمطي السلوكي، وأصبحت أرى الأمور بشكل مختلف فورًا؛ ولأن رؤيتي اختلفت أصبحت أفكر بطريقة مختلفة، وأشعر بطريقة مختلفة وأتصرف بطريقة مختلفة؛ فقد تلاشى توتري ولم أعد أفكر في السيطرة على موقفي أو تصرفي، وامتلأ قلبي بألم

الرجل، وتدفقت مشاعر التعاطف والإشفاق..قلت في أسي: توفيت زوجتك للتوّ؟

كل شيء تغير في لحظة!!!

أنا آسف! هل تستطيع أن تخبرني عما حدث؟ ماذا أستطيع أن أفعل لمساعدتك؟

مات الأكّال وبقي الرزّاق

وكذلك باختلاف النمط السلوكي نجد رؤيا مختلفة للشخصين.. فهذه المرأة التي مات زوجها وجلست والحزن يعم قلبها والحاضرات كلٌّ يواسي ويعزي، فإذا واحدة تقول لها :

- نحمد الله، ولكن كيف تكتسبي طعامك وطعام أولادك من بعده.

فقالت المرأة وحزنها يكلل كلامها:

- لقد علمته أكالا وليس رزاقًا، وقد مات الأكال وبقي الرزاق.

هكذا رؤيا مختلفة بسبب نمط تفكير مختلف.

زوجة الخير



وهذه القصة حدثت لأحد أصدقائي، وحكاها لنا بكل اعتزاز قال: كنت شابًا أرغب في الزواج، وعندما

يحدثني أحد عن شروطي أعدِّد الصفات الْخُلُقِيَّة والنفسية، بل وأرجوها مسلمة بحق مثل زوجات الصحابة عطاءً للدعوة وتضحية في سبيلها، وإعانة لزوجها على حمل تكاليفها..

لم أكن أظهر ما في نفسي كأي شاب من رغبة في الجمال الظاهري واعتمدت على حقي في الموافقة أو الرفض لمجرد الرؤيا كما نص الشرع **«فَانْظُرْ إليهَا؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا»**.[١]

وفي يوم أخبرني صديق لي أن هناك فتاة زميلة لنا في نفس الكلية التي ندرس فيها، وتحمل جميع الصفات التي أعلنتها وأجاب سريعًا عن السؤال الذي كنت أخفيه في نفسي ولم أعلنه، وعليك أن تراها ولك الخيار.

وكعادتنا نحن المسلمين نحافظ على شعور النساء، فقررنا أن نقف بعيدًا ويشير إليها لأراها، فإذا أعجبني مظهرها الخارجي نتقدم، ولم ينسَ أن يطمئنني على صفاتها التي أرجوها، ووقع بصري عليها.. لم تكن دميمة، ولكنها لم تكن أيضًا تلك التي خبأتها أيضًا داخل نمطي التفكيري ولم أعلنها..

فهم صاحبي دون أن أتكلم، وابتسم وقال: استخر ربنا.

وتوجهت ماشيًا إلى محطة الركوب وكان الطريق يأخذ بضع دقائق، وبدأ الحوار الداخلي:

(١) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (إباحة النظر قبل التزويج).

أين ما أردت من جميل الشيم؟

وأين زوجات الصحابة وعطاؤهم؟

إذا فلم يكن ما تقول صدقًا؟

إنك تنظر بنفس نظرة غيرك من الشباب اللاهث خلف الجمال الظاهري الزائل.. أنت مسكين.

وأين قول رسول الله ﷺ : «.. **فاظفر بذات الدين تربت يداك**»؟[1]

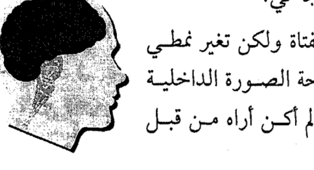
أطرقت برأسي وأنا أصعد سلم الحافلة، وأنا آسف على تناقضي..

وكدت أتعثر.. فرفعت رأسي، فإذا أنا بفتاة تجلس على الكرسي تمسك مصحفها وتقرأ فيه..

إنها آية في الجمال ...

إنها تلك التي خبأتها في نمطي الإدراكي، فلم أعد أرى غيرها.

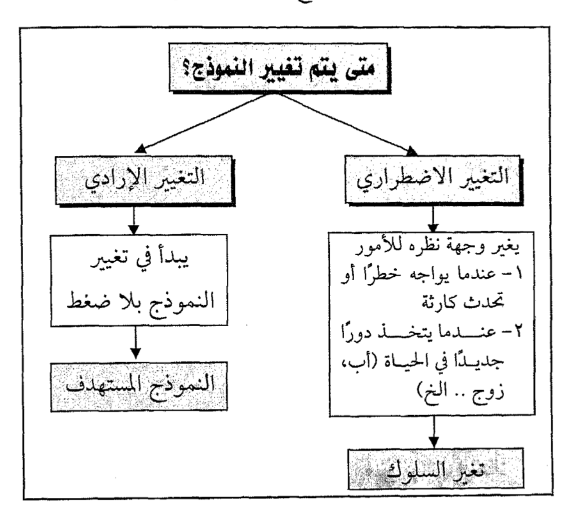
وأسرعت إلى صاحبي أطلب منه أن التقي بوالد الفتاة الأولى لتكون بعد ذلك خير زوجة لي.



نعم ... إنها نفس الفتاة ولكن تغير نمطي الإدراكي، واتسعت مساحة الصورة الداخلية لتعكس عليها جمال آخر لم أكن أراه من قبل بسبب الصفائح الحاجزة.

(1) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين).

ولكن اعلم أن التبدل الفوري للنمط السلوكي (تجربة المترو) لا تحدث كثيرًا، وإنما الأمر يحتاج إلى وقت طويل.



ومثال التغيير الاضطراري : الوالد ذلك الذي ينتهي عن التدخين خوفًا على الولد.

ملحوظة تغيير السلوك خدعة تصرف عن تغيير النموذج، وتؤدي إلى التغيير على المدى القصير.


5


الخطوة الخامسة
النموذج
المستهدف

النجوم



انزعج صديقي وأنا أعرض عليه أمثلة للقدوة التي لا بد أن نتبعها، وانفجر قائلاً:

✸ تريدني أن أكون مثل الأنبياء؟ تريدني أن أكون مثل الصحابة؟

قلت له في هدوء:

✸ هيهات أن تكون مثل الأنبياء، وصعب أن تكون مثل الصحابة.

سكتَ كأني أوقفت قلبه، ونظر إليَّ مشدوها، ثم تحرك فجأة قائلا:

✸ عجيب !! وكيف تأمرني أن أقلدهم وأن أتخذهم قدوة؟

قلت له وأنا لا زلت في هدوئي المستفز:

✸ نفس هذا الشيء كان يحيرني حتى سمعت الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - يقول: «من أخبركم أنكم ستكونون أنبياء مثل الأنبياء؟ كل ما في الأمر أننا نركب سفينة الحياة، ونريد أن نصل إلى شاطئ الهدى».

هل تعرف بماذا يهتدي البحارة في أعالي البحار؟

يقول تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل: ١٦]

هل يطمع البحارة في الوصول إلى النجوم؟

لا ... وإنما تتعلق أعينهم وعقولهم دائمًا بها، وهم على يقين واستقرار أنهم ما دام النجم أمامهم ظاهر بادي يتابعونه بدقة فإنهم مهتدون إلى الشاطئ وفي الطريق السليم

هل أدركت مثال الشيخ الشعراوي؟

كانت ابتسامة صديقي قد بدأت في الإشراق وهو يقول:

✸ نعم لن نصل إلى النجوم، إنما نسترشد بها، وكلٌّ على حسب قدرة سفينته.

ولذلك يقول ﷺ: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم».[1]

ورغم ضعف هذا الحديث من ناحية سنده إلى رسول الله ﷺ، فإنه يدلنا على المعنى الذي نريد توصيله: أنه كلما كان القدوة يلمع في السماء، وكلما كان ثابتًا راسخًا كلما كان الاقتداء به يوصل إلى الهدف المرجو.

وحتى أستطيع أن أبيِّن لك ما أود عرضه في هذه الخطوة تعالَ نراجع ما وصلنا إليه في الخطوات السابقة.

أولا: لابد أن ترى نفسك ولا تعتمد على رؤيا الآخرين لك.

ثانيًا: لا بد أن تعمق جذورك لتعلو قمتك، فلا تكتفِ

(١) رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ: "أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم".

بالمهارات الشخصية من الخارج، ولكن ابحث من الداخل، وابدأ بإدارة الذات.

ثالثًا: قاعدة الانطلاق هي معرفة النموذج الإدراكي *Paradigm* الخاص بك لرؤية الأشياء.

رابعًا: إن في تغيير هذا النموذج قوة رهيبة في عملية التغيير الثابتة التي تستمر طويلا.

والفنارة

كنت سعيدًا أن وصل صاحبي إلى شاطئه فقلت له:

اسمع الآن هذه الحكاية التي ذكرها (ستيفن كوفي) عن سفينتين حربيتين مخصصتين لسرب التدريب، كانتا مبحرتين في مناورة تدريبية وسط جو عاصف استمر عدة أيام.

وعندما هبط الليل كانت الرؤية ضعيفة مع ضباب متقطع يغطي المنطقة مِمَّا حدا بالقبطان إلى البقاء على السطح لمراقبة جميع النشاطات.

بعد حلول الظلام بوقت قصير أبلغ الملاحظ الموجود أعلى الساري: «يا أيها القبطان هناك أضواء تشع من جانب القوس الأيمن».

فسأله القبطان: «هل هي ثابتة أم متحركة مبتعدة؟»

فرد الملاحظ «ثابتة أيها القبطان»

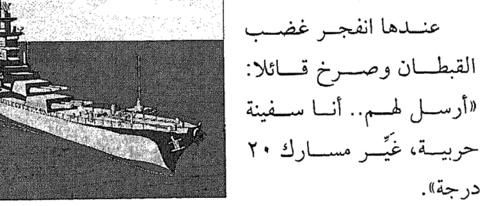
وكان ذلك يعني أن السفينة تسير في خط اصطدام خطير مع تلك السفينة التي تشع الأضواء.

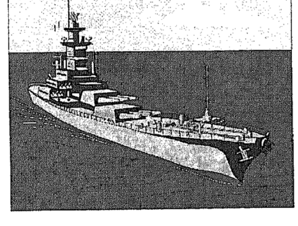
عند ذلك خاطب القبطان مأمور التأشيرة: «أرسل إشارة إلى تلك السفينة: نحن في مسار اصطدام، نقترح أن تغيروا خط سيركم بمقدار ٢٠ درجة».

فجاء الرد بإشارة تقول: «من الأفضل أن تغيروا أنتم خط سيركم بمقدار ٢٠ درجة».

فقال القبطان: «أرسل إليهم: أنا قبطان، وآمركم أن تغيِّروا مساركم ٢٠ درجة».

فجاء الرد: «أنا بحار من الدرجة الثانية، ومن الأفضل لكم أن تغيروا مساركم ٢٠ درجة».





عندها انفجر غضب القبطان وصرخ قائلا: «أرسل لهم.. أنا سفينة حربية، غَيِّر مسارك ٢٠ درجة».

فجاء الرد بالإشارة الضوئية: «أنا منارة».

فغيرنا نحن مسارنا !!!

إذا كان المطلوب هو تحقيق تغييرات جوهرية في حياتنا، فلا بد من مراجعة نموذجنا الإدراكي وتغييره وتعديله.

لن نستطيع كسر القانون الإلهي، ولكن نستطيع كسر أنفسنا لمسايرة هذا القانون الإلهي.

ولا تنسَ:
سلوكياتك، واتجاهاتك لن تتغير جوهريًّا ما لم تعدل من نموذجك الإدراكي.

والآن تسألني سؤالا مهمًّا: ما النموذج المثالي الذي يجب أن أغير إليه نموذجي لرؤية الأشياء؟

والآن قد نختلف

هكذا أقول لستيفن كوفي، وأظن لن يغضبه ذلك الخلاف، وأظن أن كلَّ مَنْ أقنعه طرحه مثلما أقنعني سيقف معي تلك الوقفة عند هذه النقطة.

وقبل عرض وجهة نظري أقولها الآن ومن أول سطر: ليس معنى اختلافي هو اتهامه بالخطأ؛ فقد أكون لم أفهم ما يقصد، أو قد أكون متأثرًا بنمط مختلف عن نمطه.

الآن نبدأ الحوار، وأترك لكم الحكم:

عندما أراد (ستيفن كوفي) أن يحدد الجهة التي نوجه إليها النمط

الإدراكي حتى نصل إلى النجاح، وبالتالي إلى الفاعلية، ثم إلى السعادة التي نرجوها بَيَّن أنها المبادئ الأساسية أو المزايا الأخلاقية، وقال:

«والمبادئ التي أقصدها في حديثي ليست أفكارًا معزولة أو غامضة أو دينية».

ثم قال: «ولا أعلم في هذا الكتاب [1] أي مبدأ له علاقة بدين أو عقيدة معينة بما في ذلك عقيدتي أنا شخصيًا. فهذه المبادئ هي جزء من معظم الأديان، والفلسفات الاجتماعية والنظم الأخلاقية السائدة». [2]

◎ **وهنا أتوقف**.. ما هذه المبادئ التي اتفقت عليها معظم الأديان والفلسفات والنظم السائدة؟ لو أردنا أن نأخذ مبدأ واحدًا من المبادئ وهو العفة مثلا نجد أعجب المبادئ على امتداد الأفكار الأرضية.

فمن أعاجيب الديانات الإغريقية الفلسفة الوثنية، وأفعال آلهة الأوليمب التي يندي لها الجبين.. إلى فلسفة أفلاطون ومحاوراته عن الحب والجمال؛ حيث نجده على لسان (فيدرا) يقول بأنه لا يتصور منزلة من السعادة لرجل أرقى من أن يكون عاشقًا لغلام جميل.

---

(١) يقصد كتابه (العادات السبعة).

(٢) الترجمة الحرفية لكتاب (العادات السبع) لستيفن كوفي، ترجمة هشام عبد الله.

إلى زنا المحارم المنتشر في العهد القديم (التوراة)، وما كارثة ادعاء (زنى النبي لوط – عليه السلام- بابنتيه بعد أن أسقياه خمرًا) بخافية من التوراة على أحد، إلى الجانب الآخر من القضية في المسيحية؛ حيث اعتبار العلاقة الجنسية قذارة ودنس، مما أدى إلى تولد الكبت الذي دعا إلى الانفجار الجنسي الذي تتناثر أشلاؤه العفنة في كل مكان في أوروبا وأمريكا بل والعالم كله اليوم.

وما أحاديث زنى الرهبان، وارتكابهم الشذوذ بل وتقنينه والرضا به داخل الكنيسة ببعيد.[١]

ثم النظريات الأرضية في القرن العشرين؛ مثل: الماركسية، وشيوع العلاقات الجنسية، والفرويدية، وعلاج الكبت بالإنفلات الجنسي، والداروينية، والوجودية، والدعوى إلى حيوانية وهمجية الإنسان، وتلبية احتياجاته بغض النظر عن مناسبتها للمبادئ[٢] حتى نصل في النهاية إلى تقنين الشذوذ بشقيه في أرقى بلاد الأرض!!

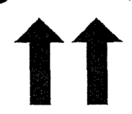
أين المبادئ إذن يا دكتور ستيفن؟!

وما المقياس الذي نستطيع به أن تقول أن هذا مبدأ يجب أن نغير نموذجنا الإدراكي إليه، وأن هذا لا يجب؟

---

(١) راجع كتاب (قواعد تكوين البيت المسلم) ... للمؤلف باب (ظلام من الغرب) .
(٢) راجع بالتفصيل العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية – د. احمد علي المجدوب الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١

دعنا نتفق



يقول ستيفن كوفي: «تقوم المزايا الأخلاقية (يقصد بها التي سنغير نموذجنا الإدراكي نحوها) على الفكرة الأساسية القائلة أن هناك (مبادئ) أساسية تتحكم بالسلوكيات الإنسانية؛ مثل: القوانين الطبيعية في المجال الإنساني.. وهي كقوانين لا تقبل التغيير أو المنافسة؛ تمامًا كما هي الجاذبية في مجال الفيزياء». وأنا متفق معه في هذا.

ويقول: «فالمبادئ مثل المنارة (قوانين طبيعية) لا يمكن خرقها».

ويقول: «قد تكون المبادئ غير ظاهرة أو غارقة في ثبات عميق، ولكنها موجودة».

حتى اللصوص عندما يتفقون على كلمة يقول كل واحد منهما: (كلمة شرف)، (والله على مَنْ يخون صاحبه). وهذا قد نتفق فيه مع كوفي.



وهذه قصة رائعة حكاها الدكتور طارق سويدان وحدثت له شخصيًّا، يقول:

كنت أدرس في الخارج، وكان لنا زميل اسمه عبد العزيز، كان يفعل كل الموبقات، بل وكنت إذا حدثته عن الإسلام يستنكر؛ بل وعن الله يشمئز.

كنت في ضجر وغيظ شديد منه؛ ذلك المسلم الذي يعتبر صورة سيئة لدينه ووطنه وأهله، وقررت ألا أناقشه مرة ثانية.

وفي يوم وكنا في استراحة الجامعة، وجلس معنا شاب غير مسلم وكان حواره على غير المستوى اللائق؛ حيث أراد أن يتطاول على الإسلام وعلى نبيه ﷺ.

وتحركت كل مشاعري وتحفزت به، وتجمع ذلك كله على لساني لأرد عليه، ولكني لم أنطق بكلمة !! لقد رأيت حديثًا علميًّا دقيقًا، تحمله عاطفة مشبوبة وانتماء شديد.

۞ أنت تتكلم عن الإسلام!! تعالَ وأنا أخبرك عن الإسلام وعن محمد ﷺ.. إنه صاحبنا عبد العزيز يلجم الشاب المتطاول!!

۞ وبعد أن انصرف صاحبنا مخذولا لا زلت في دهشتي، وأنا أسأل عبد العزيز أنت الذي تقول ذلك؟ قال وهو يشيح بيده: خالف تُعْرَف !!

ويقول كوفي: «وتطفو هذه المبادئ المرة تلو الأخرى على السطح، ويعتمد بقاء الناس في أي مجتمع واستقرارهم أو تفككهم ودمارهم على درجة تعرفهم على هذه المبادئ وتعايشهم معها». وأتفق أيضًا معه على هذا.

فهل نتفق على أن المبادئ نزلت من السماء مع أبي الأنبياء آدم منذ أول يوم لمست قدمه الأرض.. ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** [آدم

وحواء وإبليس] ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

فكلمة هدى (التي وردت بصيغة التنكير) تفيد شمول هذه الكلمة لكل القيم والمبادئ التي جاءت من مصدرها الإلهي إلى آدم ونبيه مِنْ بعده.

فإن كان الفرح مرادفًا للسعادة النابعة من النجاح القائم على المبادئ فإن المبادئ التي تؤدي إلى هذا النجاح هي هدى الله تعالى الذي أنزله مع آدم، فمن تبعه فلن يحزن أبدًا، وسيحصل على متعة النجاح.

بل أكثر من ذلك.. أن الحوار الذي دار بين الملائكة ورب العزة عن خلق آدم كان نوعًا من التأكيد على تلك المبادئ التي مَنْ خالفها فلن يدمر نفسه فقط، وإنما سيدمر الكون كله.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

لقد وضع الله المبادئ مع آدم عندما خلقه لمهمة خلافة الأرض عن الله بالعدل والحق والقسط.. مسترشدًا بتلك المبادئ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١].

ولذلك قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣١].

فلمــاذا نخجــل أن نقولهــا؛ أن المبــادئ مصــدرها الله ... والله وحده -سبحانه وتعالى- هو الأعلم بِمَنْ خلق **﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** [الملك: ١٤].

عمود الحضارة



ويقول كـوفي: «وهـي قـوانين طبيعيـة تغزل في نسـيج كـل مجتمـع متحضـر عـبر التــاريخ، وتشــمل جــذور كــل عائلــة ومؤسسة ثبتت وازدهرت».

وهنـا نختلـف؛ فمـاذا يعـني بكلمـة متحضـر، بـل ومـا معنـى الحضارة؟ هل هي ثابت من الثوابت؟ هل هي فنارة من الفنارات؟ أظن لا، وأظنه لا يختلف معي في ذلك.

وهل الحضارات هي الشكل الظاهر الـذي أثبتـت الدراسـات التاريخية أنه كلما كان هذا السطح أكثر لمعانًا كلما أخفـى تحتـه مـن العفن الخلقي.

ولكننا نعود فنتفق:

أن تلك المبـادئ قـد تغيـب ثـم تعـود لتطفو على السطح. وأريد أن أذكره بتلك الأزمنة التي كانت تلك المبادئ تطفو فيها،

وذلك الارتباط العجيب بين ظهور المبادئ ووجود رسل الله الأنبياء في الأرض، ذلك التلازم العجيب بين نظرة البشر المنضبطة إلى خالق الكون وبين انضباطهم مع تلك المبادئ...

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥ – ٣٦].

ومرة أخرى (لا حزن) مع اتباع المبادئ التي يأتي بها الرسل.. ومرة أخرى النهاية التعيسة مع مخالفة تلك المبادئ، ومرة أخرى نقول: إن متعة النجاح هي السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

نموذج ستيفن كوفي

أما عن النموذج الذي يعرضه ستيفن كوفي، فتعالوا لنرى بعض ملامحه.. يقول: «وتبدو هذه المبادئ أو القوانين الطبيعية وكأنها جزء من المحيط الإنساني، ومن الوعي الإنساني والتوافق الإنساني. ويبدو أنها موجودة في جميع المخلوقات بِغَضٍّ النظر عن ظرفها الاجتماعي».

ثم يستعرض ستيفن مجموعة من الأمثلة على هذه المبادئ مثل:

مبدأ الإنصاف *Fairness*، مبدأ الاستقامة *Integrity* ، مبدأ

النزاهة*honesty*، مبدأ الخدمة *service* أو التعاون أو التكافل، مبدأ الكرامة الإنسانية*human dignity*، مبدأ الصبر *patience*.

إنني أشعر أن (ستيفن كوفي) يقدم مجموعة من الثمار الناضجة الجميلة، ولكنه لم يخبرنا من أي شجرة هي؛ وذلك حتى لا يتشابه الثمر علينا فيخدعنا الْمُرُّ المتزين بمظهر الحلو.

أصل المبادئ

هل يعقل أن تكون مبادئ دون أصل؟ هل يستقيم أن نتحدث عن العدل، عن الاستقامة، عن الأنصاف، عن النزاهة، ولا نتعرف على خالق كل شيء؟! هل ننتظر من منكر لربه أو جاهل به وبصفاته، أو مستهتر بقدرته أن تكون هذه المبادئ هي الفنارة التي يضيء بها للناس هي نموذجه ونمطه الإدراكي الذي سيقيس به الأمور؟!

إن أصل المبادئ والعقيدة التي تنبع منها هو معرفة الله تعالى والإيمان به، والعمل بما أمر...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

ألا تتفقوا معي عندما خالفت كوفي حين قال: إن هذه المبادئ لا علاقة لها بأي دين أو أي عقيدة؟

إن المبادئ التي تخرج من الأرض تحمل قيم الأرض وسلوكيات الأرض وممارسات الأرض، أما تلك التي نزلت من السماء فتحمل خلود السماء، ونماء السماء، وعطاء السماء.

فأيهما يصلح نموذجًا مستهدفًا نغير إليه نمطنا الإدراكي؟

﴿أنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾

قبل الإجابة تعالوا نستنشق أنفاس الطهارة في أصل المبادئ..

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]



ويبدو أنه يكفي هذا مبررًا وسببًا وجيهًا لأن نلتزم بهذا المبدأ الذي هو أصل المبادئ (عبادة الله)؛ فقد ذكره الله في آية سورة البقرة، وفي آية سورة الأنعام؛ بل يفصله سبحانه وتعالى بعد آية سورة البقرة **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٢].

وهذا هو المبدأ الأساسي الذي جاءت كل رسل الله لتدعوا الناس إلى تغيير نموذجها الإدراكي إليه.. تدعو كل الناس ليكون هذا المبدأ (معرفة الله وعبادته) هو الأرض الثابتة والمنارة الهادية.. إنه مبدأ **﴿أنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾**.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

هذا المبدأ الذي نادى به الله موسى عندما خاطبه فوق الجبل.. ﴿يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١١-١٦].

إنه المبدأ الذي جاء به المسيح عيسى ابن مريم ليعيد بني إسرائيل إلى المبادئ من جديد، بعد أن شوهوها وأغرقوها في ماديتهم الطاغية...

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ويختم حواره الطويل معهم بعد أن أراهم المعجزات الدالة على أنه مرسل من عند الله، فيصرخ فيهم كأنه يهزهم هزًّا:

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ

نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥١].

وعندما يتسلم محمد ﷺ راية المبادئ ومنارتها يضع الله - سبحانه وتعالى - بين يديه ذلك المبدأ الذي هو أصل المبادئ، ويبين له أنه المبدأ الأول منذ أن جاء آدم إلى الأرض...

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثم يحذرهم من عكس هذا المبدأ الذي يحمل كل الشر، وكل الخراب..

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠].



وقد أعتذر لكوفي حيث أنه جزء من المنظومة الغربية التي تريد توحيد كل شيء في قالبها حتى القيم، فتلغي جميع قيم ومبادئ الأمم الأخرى، ثم تقدم قيمها ومبادئها على أنها القيم والمبادئ، وتنظر إلى الدين على أنه منتج بشري كأي المنتجات التي يمكن التعامل معها وفقا للظروف.

ولكن ما عذر مَنْ يتعامل مع كتاب كوفي القيم من المسلمين؛ بل من علمائهم ويكرر نفس مقولات كوفي؟!!

يقول: «هذه الأخلاق والمبادئ لكل الأديان، وكل الفلسفات، وكل المصلحين!!»

ثم يعرض المبادئ بنفس طريقة كوفي؛ طبق الثمار بغير جذور، نعم يعرض الأمثلة من القرآن وأحاديث النبي ﷺ.. يعرضها كتجربة ضمن التجارب، يعرضها كلغة تخاطب نفهمها نحن المسلمين الذين يخاطبهم.

كما يعرض لتجربة الأنبياء كما يلي: يقول: «مثال: خذ الصحابة في عصر النبي ﷺ لَمَّا نزلت آية تحريم الخمر وكانوا من عاداتهم شرب الخمر، وكان جزءًا من حياتهم، فلما جاء الأمر بتحريم الخمر -وهو أمر الله تعالى- هنا أصبحت أمامهم قيمة أسمى، وأهم من عادة أو قيمة الخمر؛ وهي طاعة الله عز وجل، فلما عرفوا أنها حرام امتنعوا عن شربها»

أما التعليق على هذا المثال فهو: «هذا هو منهج الأنبياء والمصلحين؛ فقبل محاولة تغيير التصرفات يحاولون تغيير القيم والمبادئ».

مثال رائع في تأثير تغيير النموذج.. ولكن هل دلَّ على الهدف الذي يتوجه إليه هذا التغيير؟ هل دل على النموذج المنشود؟ هل دل على مصدره الإلهي الوحيد الصالح للاتباع؟

بل يقول: «إن النموذج المنشود ليس شرطًا أن يكون في منهج

الأنبياء، إنما هو في كل الأديان وكل الفلسفات وكل المصلحين».

وتتوالى الأمثلة في قوة التغيير وأمثلة المبادئ؛ مثل: عدم الخداع والغش.. والعدل. وحتى عندما يذكر تلك العلاقة مع الله كمصدر أساسي لهذه القيم لا يذكرها بالعمق الذي يَرُدُّ على توجُّه كوفي وغيره من مصلحي الغرب؛ ذلك التوجه القائم على مبدأ (من الإنسان وإلى الإنسان) أما الله.. أما الغيب.. أما الرسل فهي مبادئ ضمن المبادئ، وليست مرجع المبادئ ومصدر قياسها.

إن نقطة الاختلاف الوحيدة بيننا أننا الأمة الوحيدة التي يمكن أن ندَّعي أننا نملك وثيقة إلهية معصومة محفوظة معجزة للإنسان كله وللزمان كله وللمكان كله.[١]

وكما قال أستاذنا طارق السويدان: «نحن كمسلمين بَلْوَرَ لنا ربنا هذه المبادئ بشكل واضح في القرآن والسنة، ومتبلورة بشكل عملي في حياة المصطفى ﷺ؛ فاقرأ القرآن والسنة لتعرف».[٢]

دكتور الدسوقي عمار

وعندما ترجم الدكتور الدسوقي عمار كتاب العادات السبع لكوفي بعد أن وجد نفسه مشدودًا لقراءته جاءت ترجمته كما قال هو ببعض التصرف: «فقد اختصرته كثيرًا عن الأصل، وحذفت منه

(١) راجع (كيف نتعامل مع القرآن الكريم) د. يوسف القرضاوي.
(٢) راجع مجموعة شرائط (دعوة للنجاح) لطارق السويدان.

بعض الأمثلة والأقوال المكررة، أو التي لا تتناسب مع بيئتنا وتقاليدنا في مصر والعالم العربي».[١]

ولذلك يقول عند عرضه للمبادئ: «وليست هذه المبادئ التي أشير إليها شيئًا سريًا أو غير عادي، أو مقصورًا على ديانة معينة أو شعب معين؛ بل إن هذه المبادئ تعتبر أساسًا لجميع الأديان السماوية خلال تاريخ البشرية كلها...».

أظن أن د. الدسوقي عمار قد أزال كثيرًا من أسباب الاختلاف؛ فقد بَيَّن المرجعية السماوية التي إذا اختلف فهم وتعريف المبادئ مع مرور الزمن فإننا نرجع إليها لتحكم بيننا، والتي لا تدع لشعب أو بَشَر فرصة أن يصيغ مبادئ تجريبية يثبت الزمان والمكان والحال فشلها.

ويمكن أن نعود الآن لنتفق.

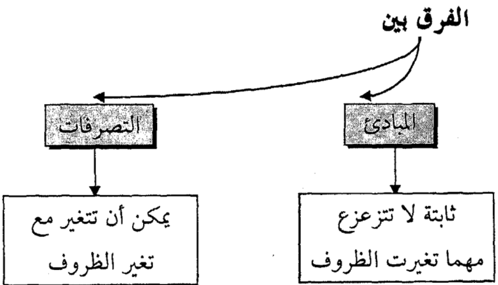
ويروقني هنا أن أنقل ما نقله كوفي عن (سيسيل ب. دي ميل) في قصة **(الوصايا العشر)** حيث يقول: «من المستحيل أن نكسر القانون (الإلهي)، وإن كنا نستطيع أحيانًا أن نكسر أنفسنا في مواجهة هذا القانون، أن نحطم أنفسنا بدلا من الاصطدام بالقانون أن نقود أنفسنا لنساير هذا القانون».

(١) (العادات السبع)، مقدمة الدسوقي عمار، ص ٤.

وكلمة (الإلهي) أظن أن د. عمار قد أضافها في تصرفه في الترجمة فهي ليست موجودة في الأصل.

وثيقة المبادئ المستهدفة.

يقول د. كوفي: «المبادئ ليست (ممارسة) *Practices*.. والتي هي نشاط محدد أو عمل، وهي تتغير وتتحدد حسب الحال، أما المبادئ فهي حقائق عميقة وأساسية.



كلما انطبقت تصرفاتنا مع مبادئنا كلما كان النموذج الذي نسير على هديه صحيحًا؛ أي بمعنى (الخريطة الصحيحة).

والمبادئ ليست قيمًا *Values*؛ فبإمكان عصابة من اللصوص الاشتراك في قيم معينة، ولكن هذه القيم تنافي المبادئ الأساسية.

المبادئ هي الأرض، والقيم هي الخرائط التي تقدم نموذجًا للوصول إلى الأرض.

فإذا كان بين أيدينا الخريطة الصحيحة (القيم) فسوف نصل إلى الأرض الصحيحة (المبادئ)، وبقدر توافق أنماطنا السلوكية مع هذه المبادئ الداخلية ستكون أنماطًا أصح وأكثر فاعلية، وبقدر اندماج هذه المبادئ مع عاداتنا، أو بقدر تَحَوُّلها إلى عادات في حياتنا بقدر ما ستكون ممارستنا في الحياة أكثر فاعلية.[١]

وإذا حاول الإنسان أن يتخطى المبادئ أو يمر منها فمن الممكن أن ينجح في ذلك مؤقتًا. ومهما صعب طريق الوصول إلى النجاح فإن النفوس تظل مستريحة؛ حيث تسير على المبادئ.

مرجعية المبادئ



ولكن لا زال هناك سؤال لم نجب عليه:

ما هذه المبادئ؟

أو ما المقياس الذي نقول به: إن هذا مبدأ يستحق أن نغير أنفسنا نحوه أو لا؟

إن كل ما عرض علينا إلى الآن هو أمثلة ونماذج..

هل هناك مرجعية أو وثيقة نستطيع من خلالها أن نختبر المبادئ؟

---

(١) ترجمة هشام عبد الله للعادات السبع.

نعم.. كما يقول كوفي :

المبادئ عبارة عن أدوات توجيه السلوك، وهي أساسية غير قابلة للنقاش (بدهية).

ويظل السؤال يبرق:

كيف نتعرف على أنها بدهية؟

بدهية بالنسبة لأي عقل؛ لعقل الفيلسوف أم عقل رجل الدين، أم للسياسي، أم للعاطل الجائع؟

ما المقياس؟

ويعود كوفي فيقول:

قد لا يختلف الناس في تعريف المبادئ أو إظهارها أو تحقيقها، ولكنهم جميعًا متفقون على وجودها.

سمات النموذج المستهدف

نريد أن نضع إشارات للنموذج المستهدف الذي نبغي تغيير نموذجنا إليه؛ لنقول: إن نجاحنا قائم على المبادئ، ويمكن أن تحصل منه على السعادة التي هي متعة النجاح. ونحن نعلم أن هذه السمات يقبلها

العقل والقلب المسلم ببساطة؛ لأنها هي نفسها سمات علاقته بربه، ورغم ذلك فإننا نقدمها لأي عقل وأي قلب منصف مهما كان دينه وكانت فلسفته أو كان توجهه في الحياة.. نقدمها كمسودَّة حوار نلتقي عليها، قد نتفق وقد نختلف على بعضها، ولكن سنظل نتفق على أن تلك المبادئ التي يجب تغيير نمطنا الداخلي إليها لا بد لها من سمات أساسية نتفق عليها....

أولا: مبادئ ربانية.
ثانيًا: مبادئ إنسانية.
ثالثًا: مبادئ واقعية.
رابعًا: مبادئ شاملة.
خامسًا: مبادئ متوازنة.
سادسًا: مبادئ ثابتة.
سابعًا: مبادئ مرنة.

أولا: مبادئ ربانية

مصدرها الله تعالى؛ خالق الكون والإنسان. فمهما اختلفنا في أي زمان أو مكان، في أي فلسفة أو تفكير، في أي سلوك بين البشر، فإن هناك نداء داخلنا لا نستطيع إسكاته يقول لنا: **(إن للكون إله)**.

هل تجيب الأنفس غير هذه الإجابة إذا سئلت هذه الأسئلة:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

هل نجيب إجابة أخرى إذا سئلنا هذا السؤال:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهو إله واحد

هل تريد أن تعرف لماذا؟

هل ترضيك هذه الإجابة:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

أو هذه الإجابة:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]

أو هذه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

ولذلك نعبده لأنه الخالق، ولأنه الرزاق، ولأنه الواحد باعتراف الضمائر والفِطَر؛ فإنه الوحيد المستحق للعبادة والخضوع والاستجابة لأوامره.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

أ- ربانية المصدر

فإذا مسخت تلك السمة في النفوس -أن المبادئ لا بد أن تكون ربانية؛ أي مصدرها الله تعالى- فإن أي مبدأ صادر عن بشر لا بد أن نَزِنَه بميزان الوثائق السماوية التي بين أيدينا...

فلا يصح أن نقول:

«إن المبادئ لا علاقة لها بأي دين أو عقيدة».

ولا يصح أن نقول:

«إن هذه المبادئ موجودة في كل الأديان وكل الفلسفات، وعند كل المصلحين».

فقط نقول:

إن المبادئ تقاس على المصادر الربانية، فما خالف المصادر الربانية فهو مبدأ مرفوض بغض النظر عمن صدر عنه أو ما هو أثره.

ثم ننظر إلى الوثائق السماوية لنتعرف على المبادئ التي عرضتها ونقيمها؛ هل هي فعلا وثائق سماوية تستحق الاتباع، أم نالها شيء من تدخل البشر؟ وذلك من خلال السمات الست الباقية.

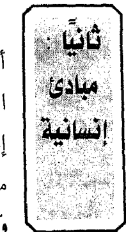
ب- ربانية الغاية

أي أن هذه المبادئ لا بد أن تكون قائمة بين البشر لهدف سامٍ؛ هو إرضاء الله لأن الله أمرنا بذلك، لا لمجرد الإنسانية...

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٩٠]

وكون الغاية العليا من المبادئ هي رضى الله فإنها مبادئ لا تتغير بسبب غضب أو رضى، ليست مبادئ مؤقتة بالمصلحة ثم تتبدل، إنما هي مبادئ ثابتة.



ورغم أن هذه المبادئ ربانية المصدر إلا أنها إنسانية التوجه، فيجب أن تتعامل مع البشر بكل ما فيهم، وكونها ربانية يطمئننا أنها إنسانية؛ لأن الله هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

فليست هي أخلاق آلهة الأوليمب الإغريقية رغم فسادها، أو

أخلاق ملائكة معصومين من الخطأ، وليست كذلك أخلاق شياطين أو حيوانات دنيئة.

فإن الإنسان له سمات مختلفة تمامًا عن هؤلاء جميعًا؛ فهو ليس إله أو ملاك أو جن؛ فهو مختلف حتى في أصل الْخِلقة ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾ [الحجر: ٢٦ – ٢٧].

﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء:٢٨]

﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**﴾ [الإسراء:١١]

ولا هو شيطان ولا حيوان، ولكنه مكرَّم...

﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن خلال هذه النظرة الربانية للإنسان أنزل عليه المبادئ الإنسانية التي تناسبه؛ فلم يخلق فيه الرغبة الجنسية مثلا، ثم يأمر بكبتها أو يُحَرِّمها عليه، أو يتركه منطلقًا بها بحيوانية دون ضوابط.

وقد تولدت في النصرانية نظرة تدنيس العلاقة الجنسية الطبيعية؛ بل واحتقار المرأة، واعتبارها مصدر كل شَرٍّ، حتى جاء قديس مثل ترتوليان (١٥٥– ٢٢٥م) الذي دفعته كراهيته للجنس إلى اعتبار الزواج خطيئة، وتمنى لو أن الجنس البشري زال من

الوجود لكي لا يستمر الناس في ارتكابها. وقال عن المرأة: «إنها الباب الذي يلج منه الشيطان».

كما قال: «إن الزواج كيان روحه الزنا، في حين أن الزهد وسيلة يمضي بها الرجل في طريق القديسين».(١)

ومن خلال هذه النظرة غير الإنسانية تولد الصراع بين الرغبات الإنسانية الطبيعية والدين لتنتصر الأولى في النهاية، ولكنه انتصار مثل الهزيمة؛ حيث تفجر الانفتاح الجنسي فأغرق أوربا وأمريكا ودول العالم في طوفانه.

والنظرة الإنسانية لهذه العلاقة تجعلها نعمة يَمُنُّ الله بها على الناس...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

تجعلها آية من آيات الله في الكون:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
[الروم: ٢١].

---

(١) راجع (العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية)، د. أحمد علي المجدوب، ص ٧٠ ، ٧١.

بل وتصفها بأرق الكلمات وأصفاها ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وهكذا ليس معنى ربانية الغاية والمصدر كسمة من سمات المبادئ التي نرجوها كنموذج مستهدف أن ننزع عنها الجانب الإنساني؛ بل إن المنهج الإلهي في المبادئ يعتني ببشرية الإنسان، ويلبي كل حاجاته في إطار يحافظ على الرقي بهذا الإنسان وإسعاده وتكريمه والسمو به في توازن بين إنسانية الإنسان وروحانيته.

ثالثًا: مبادئ واقعية

فهي مبادئ تراعي ظروف الإنسان وفطرته وطبيعته البشرية؛ فهي مبادئ لا تقول له: «مَنْ ضربك على خدك الأيمن، فأَدِرْ له خدك الأيسر».

فلا تُحلِّق في سماء من التسامح لن يستطيع أن يصل إليها بشر؛ بل تُقِرُّ القصاص وتجعله ميزانًا لقيام الحياة واستمرارها ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٩].

ولا تدعو إلى الذل، بل تُلِحُّ على المظلوم أن يسعى لرفع الظلم عن نفسه ولا يستكين ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم**

مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤١].

بل وتفصِّل القصاص في كل جزئية من جزئيات الإنسان:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

ثم تُقِرُّ مبدأ العفو والتسامح بعد التمكين من رَدِّ المظلمة:

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]

وتأمر المظلوم بالصبر، ولكن تتغاضى عن انفعاله عند رد المظلمة ولو بشكل غير لائق:

﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]

وهكذا فإن ذلك مثال لواقعية المبادئ التي نطالب بها، والتي يمكن أن نغير إليها نموذجنا الإدراكي.

رابعًا: مبادئ شاملة

فهي مبادئ لا بد أن تستوعب الزمن كله؛ فلا تأتي لزمن دون زمن، وتستوعب الحياة كلها فلا تختص بالجانب الاقتصادي مثلا وتترك الساسة يديرون مبادئ سياستهم حسب الحاجة وعلى مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).. وتستوعب الإنسان كله؛ جسده وروحه في كل مراحل حياته، فهذه المبادئ مثلا لا بد ألا تفرق بين إنسان وإنسان بسبب لونه أو جنسه أو دينه.

والكرامة لا يحصل عليها إنسان إلا عند الله، والميزان الذي يزن به اللهُ البشرَ هو علاقة الإنسان به...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

ولم تأتِ المبادئ لشعب دون شعب، فيكون الزنا أو الربا حرام بين أفراد الشعب، حلال مع غيره حتى يقولوا: **﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾** [آل عمران: ٧٥]

ولكنها جاءت تطالب بالعدل حتى مع الآخرين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى

بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْـوُوا أَوْ تُعْرِضُـوا فَـإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]

بل حتى مع الأعداء المكروهين ﴿يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا كُونُـوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

فهي مبادئ شاملة سواء بالنسبة لصاحبها أو الذي يتوجه إليـه السلوك.



فهي تعطي العقل حقه والقلب حقه والجسـم حقه؛ بل تعطي الإنسان حقه والكون والبيئة مـن حوله حقها، كما تعطي الفرد حقه والمجتمع حقـه، ولا يطغى واحد على الآخر.. شعارها :

﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِـي الْمِيـزَانِ * وَأَقِيمُـوا الْـوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨ – ٩]

مبادئ لا تهتم بحرية الفرد على حسـاب حريـة الآخـرين؛ بـل تضع أطرًا للحريات يقف عندها كل واحد، فلا يتعـدى بحريتـه إلى حرية الآخر.

مبادئ أعطت للإنسان حقه كما أمرته أن يعطي الآخر حقه:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّـاسِ يَسْـتَوْفُونَ *

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ١- ٤]

مبادئ لم تأتِ فقط لتنظيم العلاقة بين الناس، ولكنها اهتمت كذلك بالعلاقة مع الله؛ بل وأكدتها لتكون منطلق العلاقة مع الناس، فكانت (مبادئ ربانية)؛ مثل: الإخلاص له، والتوكل عليه، والرجاء في رحمته، وخشية عذابه، والحياء منه، والشكر على نعمائه، والصبر على بلائه، والرضا بقضائه، والاستجابة لأوامره. وكانت (مبادئ إنسانية) تنظم علاقة البشر بعضهم ببعض؛ مثل: الصدق والأمانة والسخاء والشجاعة والتواضع والوفاء والحب والعفة والحلم والصبر والعدل والإحسان والرحمة والبر، والتسامح والإيثار، وإعطاء كل ذي حق حقه... فلا تطغى الإنسانية مثلا على الربانية أو العكس.

ولا بد من المزج بين نوعي الأخلاق ليحدث التوازن؛ انظروا معي لمجموعة المبادئ التالية التي تعتبر سبيلا لفلاح المؤمنين، ولاحظوا المزج القرآني بين أخلاق ربانية مثل الصلاة الخاشعة، والزكاة.. وأخلاق إنسانية مثل: عدم اللغو اللساني، أو العبث الجنسي، ومثل الأمانة...

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٨]

وتوازن المبادئ يجعلها في محيط الوسطية التي تعني الاعتدال، وعدم أخذ أحد الطرفين أكثر من حقه.

«وهذه الحقيقة (الوسطية) أكبر من أن يقدر عليها الإنسان بعقله المحدود وعلمه القاصر، ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه البشر من الإفراط أو التفريط».(١)

وهذا التوازن في المبادئ مصدره ربانيتها.

ومن أمثلة التوازن والوسطية الإلحاح على مَنْ يريد الزواج أن يختار ذات الدين والْخُلُق، ولكن لا ينكر في نفس الوقت الجمال والحسب والمال كمعايير اختيار.

سادسًا: مبادئ ثابتة

إنها مبادئ راسخة كالجبال، دائمة دوام السماوات والأرض، خالدة خلود مصدرها الرباني. فهي مبادئ لا تتغير -كما قلنا- بسبب مصلحة أو غضب أو رضا؛ لأن غايتها ربانية ثابتة، وأيضًا هي ثابتة لأنها إنسانية تتعامل مع الإنسان بكل ما فيه؛ فلا تُحَلِّق به إلى سماوات لا يستطيع الوصول إليها فيحتاج إلى أن يغيرها، فهي ثابتة لأنها واقعية لا

(١) راجع (الخصائص العامة للإسلام) القرضاوى ، ص ١١٤، مكتبة وهبة.

تصادم العقول السليمة ولا الفطر المستقيمة، وهي ثابتة لأنها شاملة فلا تحتاج إلى ترقيع أو استبدال، وهي ثابتة لأنها متوازنة لا تجور على الطرف الآخر فتعطى كل ذي حق حقه.

سابعًا: مبادئ مرنة

ورغم أنها ثابتة فإنها تجمع مع ذلك الثبات مرونة تجعلها متوازنة؛ بل إن من أوضح مظاهر التوازن أن تلك المبادئ تجمع بين الثبات والمرونة بمعنى القابلية للتطور، وذلك في تناسق مبدع يمكن جمعه في قاعدة (الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة (التطور) فيما ينبغي أن يتغير أو يتطور».[١]

فلا جمود يوقف الحياة عن سيرها الذي اعتادت عليه، ولا مرونة مطلقة تجعل الحياة لا تستقر على حال وتسير سير الغائب عن الوعي أين أخذته قدماه.[٢]

أولا: مبادئ ربانية.
ثانيًا: مبادئ إنسانية.
ثالثًا: مبادئ واقعية.
رابعًا: مبادئ شاملة.
خامسًا: مبادئ متوازنة.
سادسًا: مبادئ ثابتة.
سابعًا: مبادئ مرنة.

(١)(الخصائص العام للإسلام)، ص ١٩٥.

(٢) راجع تفصيلا وافيًا لتلك الخصائص في كتاب (الخصائص العام للإسلام) للشيخ يوسف القرضاوي . وواضح ذلك الكمال في المنهج؛ حيث أن خصائصه العامة هي خصائص كل جزء فيه.



والآن وبعد أن بينا سمات المبادئ التي نعتبرها النموذج المستهدف الذي يمكن تغيير نموذجنا الإدراكي على أساسه؛ ليحدث التغيير المرجو، والإدارة من الداخل للوصول إلى متعة النجاح، لا زال السؤال مطروحًا:

وأين نجد كل ذلك؟

وهذا السؤال له إجابتان، وإن كان الهدف واحدًا:

أقول أولا للمسلمين المؤمنين بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولا، وبالقرآن كتاب الهداية منهاجًا ودستورًا:

إن هذا الدستور الأخلاقي الذي يقدم النموذج المستهدف كما عرضناه هو (القرآن)

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]

﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

فإن كانت بعض هذه المبادئ أو أجزاء منها موجودة في مصادر أخرى سواء كانت فلسفات أو ديانات، فإنها موجودة كاملة غير منقوصة متماسكة في القرآن، وإن كانت في المصادر الأخرى بها

بعض الخلل بسبب التداخل البشري القاصر في صياغتها أو تفسيرها؛ فإنها في القرآن لم تمسها يد بشر، ووضعها حكيم عليم بالبشر ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

هذا الكتاب الذي أمرنا أن نعبد الله به وتسير حياتنا على منهاجه ونحكّمه فيما يكون بيننا..

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ثم أقول ثانيًا لصديقي (ستيفن كوفي)، ولكل مَنْ يبتغي الحقيقة والهداية والمبادئ للبشرية مثله: إنني أعرض عليك سمات لم أبتكرها ولم أبتدعها، إنما هي سمات لمبادئ مستخرجة من دستور المبادئ، ذلك الكتاب (القرآن) الذي يؤمن المسلمون أنه منزل من عند الله، وهو بين أيدينا كما هو لم يُحَرَّف، ولم ينتقص، ولَمْ يُزَدْ عليه، فراجعوه؛ فأظنه في متناول أيديكم.

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣]



يمكن الرجوع إلى مثل رسالة الدكتوراه التي ألفها العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز باللغة الفرنسية، وقدمها إلى جامعة السوربون، وهي مترجمة باللغة العربية، وعنوانها: (دستور الأخلاق في القرآن).



كتاب الحياة

قال لي صديقي: كيف تُلْزِم مَنْ لا يؤمن بالقرآن أن يتبعه؛ بل وكيف تستدل بآيات من القرآن وأنت تحاور الذي لا يؤمن به ليقتنع بها؟

ابتسمت له ابتسامة متعبة وقلت:

وهل نؤمن نحن بتلك الفلسفات والمبادئ والقيم التي يستدلون هم بها، ولا يخجلون أو يتوارون بها كتوارينا بما عندنا؟! هذه واحدة...

والثانية: مَنْ قال لك أن استدلالي بالآيات القرآنية لمخاطبة الإيمان في قلوبهم؟!

اسمع يا صديقي:

إن الفكرة الشائعة أن القرآن مجرد كلام موجَّه لقلوب المؤمنين، وأنه مجرد أخبار من الله تعالى لا يصدقها إلا مَنْ آمن بالله من حيث المبدأ فكرة ناقصة.. واستكمالها بأن القرآن أيضًا يحتوي على دلائل

وبراهين عقلية تقنع الطالبين للحق، وتفحم المجادلين بالباطل؛ فعندما أعرض من آيات القرآن ما يدل على ما أريد أن أقول فإنني أخاطب العقول عند القوم.

ألم يقل الله تعالى في القرآن نفسه أنه ﴿**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ و﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ و﴿**لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ و﴿**لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾[١].. كما قال أنه ﴿**لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ .

وإني على ثقة تامة أن أمثال ستيفن كوفي، وزيج زيجلر[٢] وجيلان بتلر، وتوني هوب[٣] قوم يعقلون، كما كان روجيه جارودي ومراد هوفمان[٤] قومًا يعقلون أيضًا.

عندما يقول القرآن على لسان نبيه ﷺ :

﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠]

قال العربي الكافر بالقرآن يومها: والله إن محمدًا ليدعو إلى مكارم الأخلاق.

وعندما يقول الله تعالى في القرآن لنبيه ﷺ :

---

(١) راجع (كيف نتعامل مع القرآن العظيم)، د. يوسف القرضاوى، ص ٤٩.

(٢) مؤلف كتاب (النجاح للمبتدئين).

(٣) مؤلفا كتاب (إدارة العقل).

(٤) مفكر فرنسي وسفير ألماني أسلما ... راجع للأول كتابه (كيف نصنع المستقبل)، والثاني كتاب (الطريق إلى مكة) و(الإسلام كبديل).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]

وعندما يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

عندما يقول الله تعالى ذلك كله في القرآن هل يختلف معنا أحد أنه النموذج المستهدف القائم على المبادئ، أنه كتاب الحياة التي يستحق أن يكون منهاجًا لها؟ إن هذا الدستور نال شهادة القبول والاعتراف بعظمته عندما جاء إلى الأرض لأول مرة من الكافر به المحارب لأهله قبل المؤمن، وألا يكفي شهادة الوليد بن المغيرة وهو مَنْ هو في الرياسة والبلاغة والحكمة عندما قال بعد سماعه القرآن:

«والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لَمُغْدِق، وإنه يعلو ولا يُعْلَى عليه».

وأقول أخيرًا لأصدقائي الذين اقتنعوا بمنهج كوفي كما اقتنعت، ولكنهم قد لا يروا ما رأيت: إني ما ابتغيت مخالفة أحد، ولكني مؤمن بأن الحوار مع الآخر وتقبله لا يعني الانتقاص مما عندي أو إخفاء بعضه، بقدر ما يعني عرض ما عندي كاملا، فإن قبله الآخر بغَضِّ النظر عن إيمانه به فيمكن أن نحاوره، وإن لم يقبله فمستحيل أن أردد ما يقول مهما كانت قيمته وإلا.. ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وما كان هذا مني إلا كما قال الهدهد لسليمان:

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]

فما نقص سليمان بإحاطة الهدهد، وإن نجى الهدهد على ضعفه.

ويبقى الحب.

قال لي صديقي مبتسمًا بودٍّ:

نعم.. ليبقى الحب، ولكن أَلَمْ تخالف ما قلته في أول كلامك؛ أنك تعرض مبادئ كوفي ليست كدين وليست كطقوس عبادة وليست كأيدلوجية، وإنما تعرضها كمبادئ ومهارات حياة وفكر؟ وأراك لا تعرض عليَّ إلا ما في الإسلام، وأظنك تستذكر أي منهج آخر.

نظرت إلى صديقي بعمق شديد، ثم أخذت نَفَسًا عميقًا وقلت بهدوء:

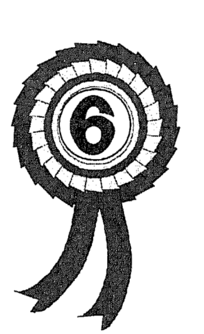
اسمع يا أخي: إن انبهارنا بالغير كاد أن يدمر حتى ثقتنا بأنفسنا، فما بالك بديننا وكتابنا؟! وتبينا أن الحقيقة التي وصل إليها كلُّ مَنْ تعمق في الدرس والتجريب أنه ما من حقيقة علمية ثابتة

يصل إليها البشر إلا لها أصل في ديننا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾.

ولكن ما حدث كان مضحكًا؛ فقد نام أصحاب هذا الكتاب مطمئنين، ولم يبالوا بالبحث في الحياة.. ألم يبين ربهم كل شيء فلا داعي لأي بحث أو تنقيب. وفي المقابل دأب الآخرون بالبحث عن كل شيء، حتى وصلوا إلى الحقائق الكافية المبهرة التي بيَّنها هذا الكتاب ولم يفرط فيها.

ولذلك يا أخي أنا أعرض (ستيفن كوفي) وغيره معجبًا بدأبهم على البحث، وبتلك النتائج الرائعة التي وصلوا إليها، ولكن أقول لك ولهم: إني لن أفهم تلك النتائج ولن أستفيد بذلك الجهد إلا إذا عرفته بلغتي.. بقيمي.. بمبادئ ديني، والعجيب أني بعد البحث وجدت أنه لا خلاف بين كثير مما قالوا وبين ما هو عندي، أما القليل الذي نختلف فيه فلن أترك ما عندي والذي أعتقد من كل قلبي أنه ﴿**مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ لقول آخر أعلم وأتأكد أنه معرض للخطأ.. وأيضًا يبقى الحب.

* * *


6


الخطوة السادسة
الحل
خارج
المشكلة

كانت رحلة طويلة تلك التي مرت بنا في الخطوة الخامسة، وأظنها كانت تحتاج إلى ذلك المجهود، والأمر الآن يستحق أن نكافئ أنفسنا عليه، فلِمَ لا نلهو قليلا؟

النقط المتفرقة[1]

هي لعبة من الألعاب التدريبية الشيقة، تعال نجرب أن نلعبها معًا.

المستوى الأول

أمامك تسعة نقاط

●   ●   ●

●   ●   ●

●   ●   ●

المطلوب أن تمر بالتسع نقاط في اتجاه واحد دون أن ترفع القلم من عن الورق، ودون أن تمر بنقطة مرتين، أو تعيد خطًا قد رسم من قبل؛ بحيث نستخدم أربعة خطوط مستقيمة.

(١) انظر Gary Kroethenert 100 Training Games، وانظر (الألعاب التدريبية)، للمؤلف.

مساعدة: تحتاج إلى مستوى جديد من التفكير، فكر خارج المألوف.

المستوى الثاني:

أصبحت اثني عشرة نقطة، وبنفس شروط المستوى الأول، ولكن لك أن تستخدم خمسة خطوط مستقيمة.

مساعدة: اخرج عن الإطار، وتخطَّ المشكلة، فيمكن أن يكون الحل خارجها.

المستوى الثالث:

قد تظن أني أصعب المشكلة إذا جعلناها ستة عشرة نقطة.

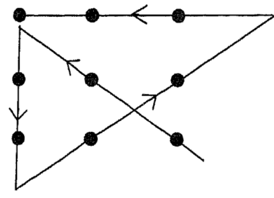
والمطلوب نفس ما مر في المستوى الأول بنفس الشروط، مع استطاعتك استخدام ستة خطوط مستقيمة.

الآن: كم مستوى استطعت أن تعبره؟

أظنك إذا لم تعبر المستوى الأول أو مر عليك هذا التمرين من قبل فلن تستطيع اجتياز باقي المستويات.

أما إذا استطعت اجتياز المستوى الأول، فأظن المستويين التاليين سيكونان أسهل بكثير.

ما رأيك أن أعطيك حل المستوى الأول لتتساوى مع مَنْ عرفه من قبل ولنرى النتيجة؟



آآآآه *(AAAH)*

نعم أنت الآن تمر بتجربة الدهشة التي حدثناك عنها في الخطوة الرابعة.

إنه اكتشاف جديد.. الحل يمكن أن يكون بسيطًا؛ فقط بتغيير نظرتنا للمشكلة، بالتفكر خارج صناديق النفس المحددة.

نعم.. كل منا كان داخل الإطار، داخل المشكلة، داخل التسع نقط، وبمجرد أن خرجنا خارج الإطار كان الحل بسيطًا جدًّا.

الآن: هل تستطيع أن تجتاز المستوى الثاني والثالث، ولكن بالنموذج الجديد للتفكير المفتوح بعد تعديل النموذج القديم؟ أظنك ستستطيع، فإذا تمكنت أو لم تتمكن فاتصل بي على بريدي الإلكتروني[1] أو أرقام تليفون دار النشر المبينة على هذا الكتاب لتخبرني أو لأخبرك بالحل الصحيح.

وبالإضافة إلى ذلك هل هناك حل آخر لمشكلة التسع نقاط؟ ولكن استخدم الآن ثلاثة خطوط مستقيمة فقط بدلا من أربعة، حاول واتصل بي.

ولا تنسَ

أن نظرتنا إلى المشكلة هي المشكلة ذاتها.

صناديق الأزواج

جلست أمامي وهي تتنفس بصعوبة بسبب ذلك الحمل في بطنها الذي يجمع أشياءه ويهم بوضع أقدامه على أولى درجات سلم الحياة.

كانت الابتسامة العاتبة ملء شفتيها، وعيناها ذائغتين تتلظى في نار الغيظ، وتلفح ذلك الجالس أمامها بلسان من اللهب بين الحين والآخر من خلال نظرة جانبية حارقة.. ولم تكن نظراته تختلف عنها كثيرًا.

(١) Email : akramreda@yahoo.com ، akramrda@hotmail.com

كانا زوجين في أوائل حياتهما الزوجية، وحدث بينهما خلاف فارتضيا بي حَكَمًا.. قلت:

من يبدأ؟

أشار هو إليها..

وبدأتْ في الحديث

لم تترك نقيصة إلا وذكرتها، وأعطيتها الفرصة كاملة بحصاري لزوجها الذي كان يستجيب لي فلم يتكلم.

ومع آخر أنفاسها المتلاحقة أنهتْ قائمة النقائص في زوجها.

نظرتُ إليه بابتسامة باهتة وقلت:

تكلم.

قال: وماذا أقول؟

قلت: ما تجده فيها.. واعلم أنك سترها وغطاها كما يقولون.. وأن الله أمرنا بالمعروف إليهن، والرسول ﷺ أوصانا بهن لضعفهن..

ابتسم بمرارة، وغالب نفسه.. فإذا بابتسامته تتسع ويبدو فيها بعض الإشراق والرضا، وهنا قال وهو يفرك كفيه:

لا أستطيع أن أقول عنها شيئًا، والحمد لله أني سمعت إلى شكواها مني، وأسأل الله أن أتغير.

وتحركت في وهن شديد وقفزت بظهرها الذي رمته إلى الخلف من ثقل ما تحمل وقالت وأنفاسها تتلاحق:

◉ الحقيقة هو فيه أشياء عظيمة، أنا لا أنكر له الكثير والكثير..

كانت ابتسامتي وكأنها جاذب لحديثها، فاندفعت تعدد مزاياه التي نزلت على صحيفة نقائصه كأنها مطر الربيع يغسل رمال الخماسين.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وانتهت المشكلة.

لأن هذه الزوجة خرجت من الصندوق وعبرت إطار مشكلتها.. خرجت عن أزمتها، عن نظرتها السيئة إلى زوجها، وشعورها بالضعف الشديد مع احتياجها الشديد للمزيد من حنانه ورحمته وعطفه؛ لأن هذا الزوج برجولته وكرمه وستره عليها قد أظهر لها جزءًا من الصورة التي عدل نموذجها الداخلي.

وصدق أينشتين عندما قال:

«لا يمكن حل المشكلات التي تواجهنا بنفس مستوى تفكيرنا الذي أفرز تلك المشكلات»

In أو Out [1]

عندما يجلس شاب في فورة نضجه بين أيدينا وقد زاغت عيناه، وتراقصت الكلمات خجلا على شفتيه، وأصبح الموضوع الوحيد المسيطر على تفكيره هو العلاقة الجنسية، فنحن الآن أمام نموذجين إدراكيين لا نموذج واحد.

الأول: هو هذا الشاب ونموذجه الإدراكي المشتعل الذي يرى أن مشكلته الأساسية هي التفريغ الجنسي من خلال الدافع الداخلي والإثارة الخارجية.

والثاني: نموذجك الإدراكي الذي يرى هذا الشاب قليل الأدب غير متزن اجتماعيًّا؛ لأنه أولا يفكر بهذا الأسلوب، وثانيًا لأنه يعلن تفكيره هكذا بلا حياء.

وهذا النموذج منطلقه القيم والأعراف التي وضعت من خلال ضوابط المجتمع.

(١) عاتبني مَنْ أقدره على استخدامي لبعض الكلمات الإنجليزية في كتبي، ويشهد الله أنني مجبر على ذلك؛ حيث أن حوالي قرنين من زمن التخلف والتردي أعطا الفرصة لغيرنا أن ينتج من الفكر والعلم بلغته ما جعلنا نعجز أحيانًا أن نجد لها مرادفًا في اللغة العربية .. وقد أجتهد في ترجمة معنى معين، ولكن أتردد في الرضا عن ترجمتي، فأضع أمامه المصطلح كما قاله صاحبه؛ عسى أن نستطيع يومًا الاستدلال بلغتنا، .. وإلا فما هي ترجمة هذا المصطلح in – out.

والحل السريع الذي سنسارع بإلقائه على هذا الشاب هو إما وعظه بتقوى الله وخوف الآخرة، وإما نَهْره وتهديده.

هذا النموذج هو نموذج التفكير بمنهج (خارجي/ داخلي) *Outside – in* الفتى يفكر من الخارج إلى الداخل، تجده يلعن الظروف التي حوله، ويتهم النساء أنهن سبب كل فتنة، ويتهم أجهزته الداخلية التي دعته لهذا الاشتعال، ويتهم الحكومة أنها لم تسن قوانين بتزويج الشباب فور ولادتهم !!

شعاره: لو لم يخلق الله النساء لاسترحنا !

وأنت أيضًا تفكر بنفس المنهج (خارجي/ داخلي).. *outside- in*

لقد كونت داخلك صورة عربيد لذلك الفتى، وبدأت تحيطه بالسياج الواقية؛ لتحمي المجتمع من فساده، وأصبح الاتهام واضحًا داخلك نحوه.. قد تعظه، ولكن مواعظك تقطر برفضك له، وتعلن كل أجهزتك الداخلية أنه من الأفضل أن تنهره وتسبه بل وتضربه، وتقول لنفسك: «النار أقرب إلى هذا الشاب من شراك نعله»

وتسارع برفع لافتة تحذير كبيرة:

«ابتعد عن هذا الفاسق حتى لا يؤذيك دخانه»

وأنت مستلقٍ في روضات جنتك، خالي البال؛ فقد أديت مهمتك.

وأسرع الحلول.. أسهلها.

وأنتما الاثنان بمنهج (الخارج إلى الداخل) *Outside - in* ستقدمان أسرع الحلول التي ستتميز بمجموعة سمات، منها:

١- أنها حلول تعتمد على ظاهر الشخصية.

فقد يَنْصَبُّ كل وعظك على الستر والتواري حتى لا يرى الناس (بلاويه)، أو التجمل والتظاهر بغير ما يشعر حتى لا يلومه الآخرون.

٢- قد تخفف النصيحة الألم سريعًا، ولكنها (كالإسبرين) ما إن يزول مفعولها حتى يعود الألم.

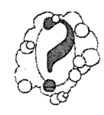
٣- قد يساهم الحل السريع في حجب المشكلة وتواريها، فتعمل في الظلام، وتنمو بعيدًا عن أعيننا، فتتحول إلى مشكلة متورِّمة ستنفجر في أسرع وقت ومع أول لَمْسة.

٤- قد ينجح الحل السريع.. ولكنه نجاح:

- ظاهري.. فالسم يعمل بالداخل.
- مؤقت.. فسرعان ما يزول تأثير المسكِّن.
- مادي.. فلم يمس النموذج الداخلي.



وهذا هو المنهج الآخر في التفكير؛ أن نبدأ بالنفس، وبالجزء الأعمق في النفس، وهو النمط الإدراكي *paradigm* القائم على المبادئ.



كيف يفكر الفتى من الداخل؟

وكيف ستنصحه أنت من الداخل؟

هذا ما سيجيب عليه رسول الله ﷺ في القصة التالية:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «**ادْنُهْ**»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**» قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ**». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**». فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.(١)

كانت المفاجئة مؤلمة للصحابة الأطهار حول النبي ﷺ، فكان

(١) رواه احمد، كتاب (باقي مسند الأنصار)، باب (حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو).

تفكيرهم (من الخارج إلى الداخل) *outside - in* من الرغبة الأساسية في صبغ المجتمع ولو ظاهريًا بالفضيلة والطهارة، ولكن النبي ﷺ كان يفكر من الداخل.. من المبادئ.. من ﴿**ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ [النور: ١٢].

كان ﷺ يعلم أن التلميع الخارجي والتنميق ليس هو الهدف، وأن التغيير حتى يستقر ويستمر لا بد أن يبدأ من الداخل.

لم يبدأ ﷺ برفض الفتى؛ بل بدأ بقبوله والاعتذار له.. الجميع حول النبي ﷺ يفكرون من داخل المشكلة، ويحاولون حمل الصندوق وهم داخله.

ولكن النبي ﷺ ذهب بعيدًا عن المشكلة، ولم ينسَ أن يأخذ الفتى معه.

وهناك في بيت الفتى حيث يجد الطهارة بعيدًا عن نظرة الفتى المستعرة بدأ التغيير، وكانت البداية بتغيير النموذج الإدراكي بالتعامل مع المبادئ.

لقد دعا رسول الله ﷺ الفتى أن ينتصر داخل نفسه حتى يستطيع أن يواجه مشكلته، لم يعطه مُسَكِّنًا، وإنما أعطاه أسلوب شفاء، واكتسب الفتى واكتسبنا من هذا الأسلوب الكثير من ضوابط منهج التفكير (من الداخل إلى الخارج) *insid – out* والتي تتلخص في الآتي:

١- إن قطع الوعود لأنفسنا يسبق قطع الوعود للآخرين.
٢- لا جدوى من وضع الشخصية الخارجية قبل المزايا الداخلية؛ فالعربة لا تنطلق إذا وضعت أمام الحصان.
٣- لا جدوى من محاولات تحسين العلاقات مع الآخرين قبل تحسين علاقاتنا مع أنفسنا.
٤- البدء في حل المشكلة ينبع من الداخل؛ حيث النمط الإدراكي الذي أنظر به إلى المشكلة.
٥- لا بد أن أجيب عن سؤال: هل نظرتي إلى المشكلة صحيحة؟ فقد لا تكون هناك مشكلة.
٦- عندما يكون الحل هو أن يختفي الآخر، عندما يتركز الحل على ضعف الآخرين وليس على قوتك، عندما ترى أن الظروف هي سبب مشاكلك وأنت برئ تمامًا، عندما تلجأ إلى سن قوانين أكثر ووضع لوائح أكثر تعقيدًا... عندما تفعل كل ذلك؟ اعلم أنك تفكر بمنهج(من الخارج إلى الداخل)*Outside- in*.

تطبيقات... *In – Out*

١- **بين الزوجين:** عندما يجب أحدكم أن يعترف بالتقصير، فلا يعترف بتقصير الآخر إنما تقصير نفسه.
وعندما تدركوا أنه إذا أردتم بيتًا سعيدًا، فكونوا مبعث السعادة والحب والثقة للطرف الآخر.

٢- مع الأولاد : أنت تريد مراهقًا متزنًا، إذًا فكن أبًا متفهمًا متعاطفًا، واخرج من المشكلة ولا تعتبر كل سلوكياته موجهة لك.

٣- مع النجاح : لا تسأل الناجح كيف نجحت لتسير سيره، ولكن اسأله ما المبدأ الداخلي الذي دفعه للنجاح وتدرب عليه؟



٤- مع الآخرين : إذا أردت أن يشق بك الناس فكن أهلا للثقة، وإذا أردت أن يقبل الناس مزاياك فابدأ في تقبل عثراتهم.

٥- مع الذات : المحصِّلة النهائية لمنهج من الداخل إلى الخارج (*in – out*) النضج الشخصي وقوة الشخصية كفرد، والترابط الأسري وروح الفريق للأسرة، والفهم التنظيمي والتعاون للمؤسسة.



ومع الله (من الداخل إلى الخارج)

﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**.(١)

(١) رواه مسلم، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله).

عَن النُّعْمَان بْن بَشِير قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاس. فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ؛ أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»**.(١)

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**.(٢)

تدبر هذه الباقة من الآيات والأحاديث التي بدأنا بها كلامنا. أظن أن الوقت حان لتستمع إلى قصة (أحد) بعد أن تعرفنا على ملامح نهايتها من قبل.(٣)



من المواقف العظيمة في حياة المسلمين مع الرسول ﷺ يوم أحد، ولقد اهتم القرآن بالتعليق على هذا اليوم اهتمامًا كبيرًا.

---

(١) رواه البخاري كتاب (الإيمان)، باب (فضل من استبرأ لدينه).
(٢) رواه البخاري كتاب (بدء الوحي)، باب (بدء الوحي).
(٣) راجع الخطوة الثانية (تعرف على مداخل النجاح)

يقول المسور بن مخرمة: قلت لعبد الرحمن بن عوف: يا خال: أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال: «اقرأ بعد العشرين والمائة من آل عمران تجد قصتنا».

يقصد ابن عوف ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ١٢١][1]

ويقول سعد بن معاذ ﷺ: «كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص؛ اختبر الله به المؤمنين، فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران».[2]

وهكذا ستون آية من سورة آل عمران تأخذ حوالي نصف جزء من أجزاء القرآن الثلاثين تعلق على هذا اليوم.

في بداية الآيات نجد تلميح إلى يوم بدر ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

﴿وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ وكان واضحًا ذلك النصر من عند الله يوم بدر في العام الماضي.[3]

وبنظرة بسيطة إلى الصف يوم بدر والصف يوم أحد نجد

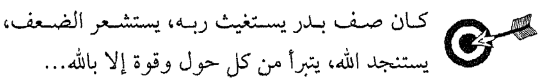
(١) المنهج التربوي للسيرة النبوية (التربية الجهادية) منير محمد الغضبان، ج١، ص١٩٥، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٩١.

(٢) السابق: ١٩٥.

(٣) كانت بدر في رمضان عام ٢ هـ، وأحد في شوال عام ٣هـ .

اختلافًا كثيرًا؛ كان صف بدر مستحقًا للنصر كل الاستحقاق، وصف أحد مختلفًا عنه كل الاختلاف...

كان صف بدر متميزًا بإيمانه لا يحوي شائبة نفاق، أما صف أحد فقد خرج المنافقون فيه ثلاثمائة رجل، ثم همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا ولقد حذرهم الله تعالى ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾[آل عمران:١١٨].



كان صف بدر يستغيث ربه، يستشعر الضعف، يستنجد الله، يتبرأ من كل حول وقوة إلا بالله...

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وأما صف أحد فقد وثق من النصر واستقوى بعدده، واندفع يخرج لعدوه خارج المدينة على غير رغبة قائده ﷺ.

وقف صف بدر بين يدي رسول الله ﷺ عندما جد الجد، وأذنت المعركة يعلن: (والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك).

أما صف أحد فقد تخلف المنافقون أول المعركة ثلاثمائة رجل، ثم همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا...

﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقد علمه الله من نفوسهم عندما هموا به، ثم عصمهم أن يفعلوه، ولكن مجرد هذا الهم يعتبر فشلا.

ثم يعرض الله -تعالى- جولة في معركة الأخلاق والقيم التي ينتصر بها المؤمنون؛ إنه الإصلاح من الداخل حتى يأتي النصر من الخارج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ثم توصية بالإنفاق في السراء والضراء، وتوصية بكظم الغيظ، وتوصية بالعفو عن الناس.

وها هو القرآن يعلن مبادئ الإدارة من الداخل.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٦].



ويضع لهم النبي ﷺ الخطة، ويأمر الرماة بألا ينزلوا من على الجبل وإن رأوهم منتصرين، أو منهزمين تخطفهم الطير.

وينتصر المسلمون، وتخلو ساحة المعركة، وتبرق الغنائم تحت أشعة الشمس، فيخالف الرماة خطة النبي ﷺ، وتحدث الكارثة ويعود الجيش وقد فقد سبعين شهيدًا، وجرح نبيه ﷺ.. والسؤال يدور في قلوبهم.



لماذا حدث هذا ونحن المسلمين نقاتل غضبًا لله وهم المشركون؟! لماذا حدث هذا ومنذ عام كانت الملائكة تقاتل في صفوفنا؟! وتأتي الإجابة واضحة جلية ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

هو من عند أنفسكم

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

هو من عند أنفسكم

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

هو من عند أنفسكم

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦]

هو من عند أنفسكم

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

ومع أن الفشل والتنازع والمعصية لم تقع في الجيش كله، وإنما وقع في مجموعة صغيرة منه، والذين يريدون الدنيا لم يكونوا كثرة بالنسبة للجيش، فإن العقوبة الربانية وقعت على المجموع. إن القضية ليست مجرد خلل في الخطة، وإنما (هو من عند أنفسكم)، فشل.. وتنازع.. ومعصية.. وحب للدنيا.



إنه الداخل عندما يصبه الخلل، فمن أين يأتي النجاح؟!



ولكن لطف الله كان ملازمًا للعقوبة ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

كان لطف الله قد أنساهم الجراح والقتل والهزيمة بإشاعة خبر موت رسول الله ﷺ بينهم، فأنسى الغمُّ بفقد الحبيب كلَّ غمٍّ آخر..

﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

كان لطف الله غامرًا على هؤلاء الذين لازموا الحبيب ﷺ، ودافعوا عنه بأنفسهم.. هذا أنس بن النضر بعد إذاعة خبر موت رسول الله ﷺ يندفع متقدمًا والناس قد يأسوا.. وقد قعدوا يسألهم: ما يجلسكم؟ فيقولون وقد هدهم الحزن: قتل رسول الله ﷺ، فيصيح فيهم: وعلى ما الحياة بعده، موتوا على ما مات عليه.

ثم ذهب يقاتل وينادي إخوانه.. يا سعد بن معاذ: واهًا لريح الجنة، ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد، ثم تقدم فقاتل يكسر صولة المشركين المنتشين بالنصر حتى قتل، ومَثَّل به المشركون من شدة غيظهم مما فعله بهم.. وجاءت الملائكة تزف إليه البشرى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]

هذه أم عمارة (نسيبة بنت كعب) كانت مهمتها خلف الصفوف، فلما انكشف المسلمون أسرعت إلى رسول الله ﷺ تباشر القتال بنفسها وتدافع عنه، وكان كل هَمِّ المشركين قتله ﷺ، وتضرب ابن قمئة المشرك ضربات ولكنه يعاجلها بضربه تجرحها جرحًا يظل معها طوال حياتها، ورسول الله ﷺ المقاتل رغم جرحه يقول عنها:

«لَمَقَام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان؛ ما التفت يمينًا أو شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني، ومعها زوجها

غزية بن عمرو وابنها عبد الله بن زيد بن عاصم». فتلتقط أم عمارة أطراف البشرى بلهفة وتقول: ادع الله -تعالى- أن نرافقك في الجنة فيقول ﷺ: «اللهم اجعلهم رفاقي في الجنة». تقول أم عمارة: ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا بعدها.

ومصعب بن عمير تقطع أطرافه واحدة تلو الأخرى وهو يدافع عن رسول الله ﷺ ولا يفقد ذرة من إيمانه؛ بل ويعلنها ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] فنزلت بعد ذلك قرآنًا.

وتأبى أرض المعركة أن تخلو من مصعب بعد موته، فإذا برسول الله ﷺ وهو يقاتل المشركين المتكاثرين عليه يصيح بقوة: أقدم مصعب..

فيقول عبد الرحمن بن عوف القريب منه: قتل مصعب يا رسول الله، فيقول ﷺ: ولكن ملك قام مكانه في صورته وتسمى باسمه.(١)

إن مكان مصعب في المعركة لا يستطيع أن يملأه بشر. إن عطاء مصعب لا يقوى عليه إلا مَلَك، أي قوة داخلية كانت عند مصعب جعلته يعطي مثل هذا العطاء الخارج عن قدرة ونطاق البشر!!

ولم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا خمسة عشر رجلا، منهم العشرة المبشرون بالجنة. وكان أبو بكر الصديق عندما يذكر (يوم أحد) يقول:

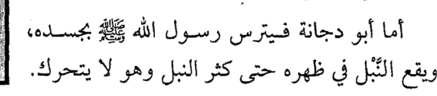
---

(١) المنهج التربوي للسيرة النبوية، محمد منير الغضبان، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص ٢٥.

ذلك اليوم كله لطلحة ... لَمَّا انسحب الجيش برسول الله ﷺ الجريح يحتمي في الجبل، لم يقوَ ﷺ أن يصعد الجبل فأحنى طلحة ظهره، ورسول الله ﷺ يصعد عليه ويقول: أوجب طلحة.. أوجب طلحة. ويبحث أبو بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.. يقول: فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ ويدافع عنه، فما كان إلا طلحة رضي الله عنه.

وهذا سعد بن أبي وقاص يرمي ألف سهم في وجوه الكافرين..

وأبو عبيدة يستخرج حلقات الْمِغْفَر من وجنتي رسول الله ﷺ بأسنانه فتقع أسنانه من شدة ضغطه على الحديد مخافة أن يؤذي رسول الله ﷺ.



وعلي بن أبي طالب.. وعمر بن الخطاب.

أما أبو دجانة فيترس رسول الله ﷺ بجسده، ويقع النَّبْل في ظهره حتى كثر النبل وهو لا يتحرك.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين * فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧ – ١٤٨].



﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[آل عمران: ١٥١]

ثم أزال سبحانه عن المؤمنين الغمَّ، وأنزل عليهم

السكينة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾[آل عمران:١٥٤].

لقد كانت المعركة معركة نفوس وقلوب وضمائر قبل أن تكون معركة سيوف ورماح وكثرة عدد؛ ولذلك فإن ذلك كله لم يؤثر في البعض.. يقول الزبير بن العوام: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم، فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] فحفظتها عنه، ثم فضح الله القلوب.

يأخذ الله تعالى أرواح المؤمنين فيسكب فيها الطمأنينة والرضا واليقين، وتقذف نفوس المنافقين ما أخفوه طويلا طويلا حتى تظهر في لَحْن أقوالهم، في لحظة رعب وندم وحقد وغضب على المصير البائس الذي لاقوه.

وقبل أن نؤكد على أهمية أن نجعل شعارنا عند كل مصيبة: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فنعالج النفوس، ونداوي الداخل حتى ينجح الظاهر لا بد أن نؤكد ما أكده القرآن بعد هذه الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: ١٦٦].

وحين يطمئن قلب المؤمن إلى أن ما أصابه إنما كان لخلل في

بنيانه الأصلي فيعيد صياغة نفسه على ضوء هذا التقرير الرباني، حينئذ يضاف الرصيد الجديد الآخر؛ أن المحنة لها دور آخر غير دور تربية المؤمنين وتصحيح أخطائهم، هذا الدور هو تميز الصف المؤمن من المنافق، ولئن كان الصف قد تفاوتت مستوياته لكن لا بد من إفراز المنافقين خارجه.. ﴿**وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا**﴾ [آل عمران: ١٦٦].

وهكذا كانت معركة أحد درسًا عمليًّا لهم ولنا مِنْ بعدهم؛ أن سبب أي فشل هو خلل الداخل، وسبب أي نجاح هو ضبط الداخل. ورغم أن الخلل الداخلي كان في فئة ولم يكن في جميع الصحابة حول النبي ﷺ إلا أنها سنة الله في الجماعة؛ أنها جمع متماسك إذا أصاب عضو منه الخلل أصاب الجماعةَ منه جانبٌ.

وكذلك على مستوى الفرد أذكرك بما بدأنا به حديثنا، وبقول النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».[١]

هل تكفي قصة أُحُد وهذه الآيات والأحاديث لندرك معنى المنهج (من الداخل إلى الخارج) *inside-out*؟

(١) رواه مسلم، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله).

هل يكفي أن نقول: إن الاهتمام بإصلاح الداخل هو المدخل الأساسي للنجاح؛ حيث سيظهر ذلك كله سلوكيات وتصرفات على ظاهرنا؟

أظنه يكفي.. وأظنك عندك الكثير من القصص والحكايات الواقعية دلالة على ما أقول، أو على الأقل دلالة على فشل المنهج الآخر (من الخارج إلى الداخل) *outside-in* للوصول إلى السعادة.

اعلم أنه

«لا يجب أن نتوقف عن استكشاف ذاتنا، ونهاية كل استكشافاتنا هي العودة من حيث بدأنا، والتعرف على ذاتنا من جديد وكأننا نكتشفها لأول مرة». ت. س. إليوت

وتشتكي

رغم روح الفاعلية من الموظفين أمامي، فإنني ما أستدير إلا ويتركوا عملهم،

كيف أخلق الولاء فيهم؟

كيف أجعلهم ذاتي الفاعلية؟



يمكن تقديم الحلول على منهج (من الخارج إلى الداخل) *outside – in* كما يلي:

١- عمل درامي مخيف (رأس الذئب الطائر، أو اضرب المربوط).

٢- برنامج تدريبي لتقوية الحافز.

٣- توظيف آخرين أكثر حافزية.



أو تقديم الحل على منهج (من الداخل إلى الخارج) *inside-out* كما يلي:

أسأل نفسي: هل أعمل لِمَا هو في مصلحتهم؟
هل أنظر إليهم بطريقة صحيحة؟
قد تكون نظرتي إليهم هي المشكلة..

وتظل تشتكي

◉ المطلوب إنجازه كثير جدًّا، وليس هناك الوقت الكافي.. أشعر بأنني مضغوط ومتوتر طول اليوم.. سبعة أيام في الأسبوع.

◉ حضرت برامج تدريبية عديدة في إدارة الوقت، وجربت تطبيق نصف دستة من أساليب التخطيط، ساعدني ذلك إلى حد ما، ولكني.. ما زلت اشعر بأنني لا أعيش حياتي السعيدة المنتجة التي أرغبها.

النموذج الإدراكي الحالي يحدد أن :

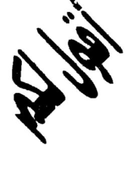
المشكلة في أساليب التخطيط، أو في ضعف كفاءة الإنجاز.

والحل على منهج (من الخارج إلى الداخل) *outside-in* :

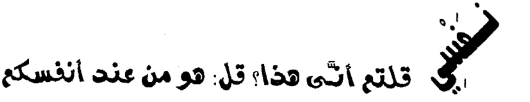
في حضور دورات في أحدث أساليب إدارة العمل.

وتعديل النموذج الإدراكي على منهج من الداخل يؤدي إلى:

- إبراز زوايا أخرى للمشكلة.
- بيان أولويات المطلوب إنجازه.
- استبعاد الأولويات المتأخرة أو تفويضها.
- ماذا يحدث لو لم يتم الإنجاز بهذه الكفاءة؟
- مناقشة فاعلية الإنجاز لا كفاءته.



إن حل المشكلات من الداخل يعني ألا أعتبر الظروف هي سبب فيها.
إن حل المشكلات من الداخل يعني ألا أجمع كل وسائل الحل، وأنسى الوسيلة الأساسية التي بدونها لن أستطيع استخدام بقية الوسائل




7


الخطوة السابعة
اجعل
النجاح
عادة



هذه حكاية كنا نحكيها للأطفال أو نتبادلها بيننا في أمسياتنا الجميلة، ونحن ننظر إلى صديق لنا لا زال على سلوكياته التي نرفضها مهما حاولنا تغييره.

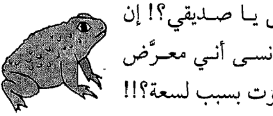
«كان ضفدع يقفز بين أوراق الأشجار الطافية بعد أن أغرق ماء النهر بفيضانه الأرض حوله، فلمح الضفدع عَقْربًا يقف حائرًا على أحد الصخور، والماء يحيط به من كل جانب.

قال العقرب للضفدع: يا صاحبي ألا تعمل معروفًا وتحملني على ظهرك لتعبر بي إلى اليابس؛ فإني لا أجيد العوم.

ابتسم الضفدع ساخرًا وقال: كيف أحملك على ظهري أيها العقرب وأنت مِنْ طبعك اللسع.

قال العقرب في جدية: أنا ألسعك!! كيف وأنت تحملني على ظهرك، فإذا قرصتك مت في حينك وغرقت وغرقت معك؟

تردد الضفدع قليلا وقال للعقرب: كلامك معقول، ولكني أخاف أن تنسى.



قال العقرب: كيف أنسى يا صديقي؟! إن كنت سأنسى المعروف، فهل أنسى أني معرَّض للموت، هل أعرض نفسي للموت بسبب لسعة؟!!

بدت القناعة على الضفدع بسبب لهجة العقرب الصادقة، فاقترب منه فقفز العقرب على ظهره، وسار الضفدع في النهر يتبادل الحديث الهادئ مع العقرب الساكن على ظهره، وفي وسط النهر تحركت أطراف العقرب في قلق، وتوجس الضفدع شرًّا.

فقال للعقرب في ريبة: ماذا بك يا صديقي؟

قال العقرب في تردد وقلق: لا أدري يا صديقي، شيء تحرك في صدري!

زاد الضفدع من سرعته عومًا وقفزًا في الماء، وإذا به يستشعر لسعة قوية في ظهره فتخور قواه بعد أن سرى سُمُّ العقرب في جسده.. وبينما يبتلع الماء جسديهما نظر الضفدع إلى العقرب في أسى وهو يبتلع الماء ليغرق، فقال العقرب في حزن شديد قبل أن يبتلعه الماء: اعذرني ... الطبع غلاب يا صاحبي!!! [١]

هل أعجبتك هذه الحكاية؟

لقد أعجبت ابنتي بها أيضًا، ولكن أظنك فهمت ما أقصد.

---

(١) انظر (حكايات تدريبية وتربوية) للمؤلف.



فالشخصية مجموعة من العادات، وإذا أردنا أن نلخص شخصيتك نستطيع أن نقول: هي مجموعة من العادات.

الصعود إلى القمر

تريد مثالا أكثر واقعية؟!

أظن أن الخيال بداية الواقع، إذا أردت أن تتأكد من كلامي اقرأ قصة (الشاعر) للمؤلف الفرنسي (سيرا نو دي برجراك)، وقد ترجمها مصطفى لطفي المنفلوطي إلى العربية ...

وهي حكاية مغامرات أمير فارس شاعر في فرنسا في العصور الوسطى... كان مميزًا جدًّا عن أقرانه، وكان له الكثير من المنافسين، فسأله أحدهم يومًا: إنك تغني للقمر كثيرًا، فهل تستطيع أن تصعد إلى القمر؟ ابتسم الشاعر وقال لمنافسه: إن لدي عشرات الطرق للصعود إلى القمر.

اندهش صديقه وبدأ يستمع إلى الطرق المبتكرة التي عرضها الشاعر عليه للصعود إلى القمر، وكان مما قاله: أن أحضر قطعة مغناطيس كبيرة وأرتدي حُلَّة من الحديد، ثم أقذف المغناطيس إلى أعلى فيجذب حلة الحديد وأنا داخلها فيرفعني إلى أعلى، ثم أقذف المغناطيس إلى أعلى فيرفعني مرحلة أخرى، وهكذا حتى أصل إلى القمر.

أعلم أنك ضحكت من كل قلبك، وتنتظر حكاية ثالثة ...

أولا: اعلم أن قصة الشاعر كتبت منذ ثلاثمائة سنة؛ أي قبل أن يعرف الإنسان الصعود إلى القمر بزمن.

والحكاية الثالثة هي حكاية (جون فرن)، أظنك تعرفه، إنه مؤلف قصص الخيال العلمي. عندما كتب قصته (أول رجل يهبط على القمر) كانت قضيته الأساسية هي **كيف يتخلص من الجاذبية؟**

لن أحكي لك قصة (فرن) فقد وصلت الآن إلى ما أريد.

بعض العادات تلتصق بذواتنا بفعل مشابه للجاذبية الأرضية، وحتى نتخلص منها نحتاج إلى قوة صاروخ يحملنا إلى خارج مجالها الجاذب، وهذا ما أدركناه حديثًا، وإن كان الشاعر قد بسطه في قصة المغناطيس، وجون فرن قد ابتكر خياله هذا الطلاء الذي يعزل الجاذبية عن سفينته فتنطلق.

ولكن إذا تمت الانطلاقة الأولى فسوف نشعر بالتحرر الذاتي من هذه العادات؛ كأننا نسبح في الفضاء بعيدًا عن قوة الجاذبية الأرضية.

ما هي العادات؟

العادات هي تراكم الأفعال؛ فعندما تفعل شيئًا وتكرر فعله يصير لك عادة.

العادات

فعل متكرر تقوم به غالبًا دون أن تشعر دوريًّا وبانتظام، حتى يعبر عن شخصيتنا، فينتج عنه أن نكون فاعلين أو غير فاعلين.

يقول أرسطو: «نحن وما نفعل شيء واحد، ولذلك فإن الإتقان أو التميز ليس بفعل، إنما هو عادة».

كيف تتكون العادات؟

هل من عادتك شرب الخمر مثلا؟ أجدك تقول لي: إنها حرام، ثم إني لم أتعود عليها، فهما سببان لتكوين العادات:

١- أن لا يوجد ما يمنع (حرام، تقاليد، ....).
٢- تكرار الفعل.

وحتى ننجح لا بد أن نبني في أنفسنا عادات النجاح على أساس المعادلة التالية:

الأفكار ⟵ أفعال ⟵ عادات

وقالوا في حكمة قديمة

إن تزرع فكرة تحصد فعلا.
وإن تزرع فعلا تحصد عادة.
وإن تزرع عادة تحصد شخصية.
وإن تزرع شخصية تحصد مستقبلا، أو تحصد مصيرًا.

عادات النجاح

أن تزرع قيمة أو فكرة

أفكار ومبادئ النجاح ←

تحصد فعـــلا

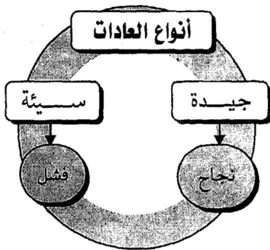
أفعال النجـــاح ←
تكرار الأفعـــال

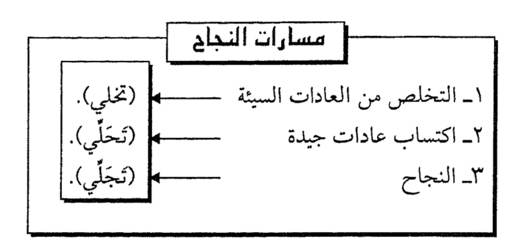
تحصد عادة

عادات النجـــاح ←

مستقبل أو مصير

النجـــاح





والآن ما رأيك في هذه العبارة (**العادات مثل الحبال الفولاذية، نجدل فيها كل يوم سلكًا حتى نعجز عن قطعها**)؟

إذا وافقت معي على هذه العبارة، يكون السؤال الآن:

هل يمكن قطع الحبل؟

فالتخلص من العادات ليس سهلا، ولكنه ليس مستحيلا.

والسؤال الملح: **هل نحكم عاداتنا، أو تحكمنا عاداتنا؟**

في رحلة إلى القمر يستهلك الصاروخ من الطاقة خلال الدقائق الأولى من الانطلاق والتخلص من جاذبية الأرض الهائلة أكثر مما يستهلك طيلة أيام الرحلة التي امتدت إلى نصف مليون ميل.

وحتى نستطيع قطع الحبل لا بد من بذل الجهد (قوة الإرادة).

حتى تتخلص من العادات غير المرغوب فيها لا بد من كسر الطوق من خلال السببين السابقين لتكون العادات.

١- تتكون العادات بسبب عدم وجود مانع من (دين أو عادات أو تقاليد...)، فحتى تتخلص من العادات لا بد من إحياء تلك الموانع في نفوسنا.

٢- تتكون العادات بسبب تكرار الفعل، فحتى نتخلص من العادات لا بد أن نتوقف عن الفعل.

ما الذي يميز الصحابة رضوان الله عليهم؟

وقبل أن أدعك تحكم على المسائل من خلال عاطفة جيَّاشة أو انبهار بالحضارة تعالَ ننظر في القرآن لنرى ملاحظة أخرى.

لم يجمع الله المهاجرين والأنصار في آية من قرآنه إلا وقدَّم -سبحانه وتعالى- المهاجرين على الأنصار.

إنهم أصحاب الانطلاقة الأولى، أصحاب الإرادة التي تخلصت في البداية من جاذبية العادات والتقاليد وضغط المجتمع؛ لينطلقوا بعد ذلك في رحاب التوحيد الخالص. ويأتي الأنصار في الصف التالي مباشرة؛ فهم القوة الدافعة لاستمرار الانطلاق، ثم يأتي المؤمنون بعد ذلك ولو هاجروا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

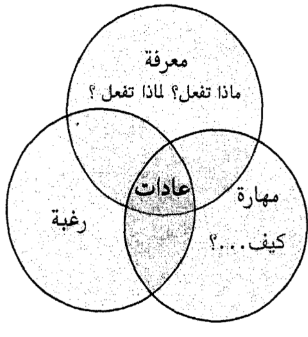
وقالوا العادة شيء تعرفه، وأصبحت ماهرًا في أدائه، وترغب في عمله.

إذاً فالعادات نتاج تفاعل ثلاثي من:

المعرفة(*Knowledge*)← التي تجيب عن سؤال: ماذا نفعل؟لماذا نفعل؟

المهارة(*Skill*) ← والتي تجيب عن سؤال: كيف نفعل؟

الرغبة (الإرادة) (*Desire*) ← وهي الجانب التحفيزي للعمل.



الخير عادة

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «تعودوا الخير؛ فإن الخير عادة».

التعرف على عاداتك هي بداية الاستعداد للانطلاق؛ لأنها قوة نفاثة في داخل النفس البشرية.

وللإنسان طبيعتان:

١ـ فطرة وُلِدَ عليها.

٢ـ وعادة اكتسبها.

وحتى تكتسب العادات لا بد من السُّلَّم الثلاثي (المعرفة، والقدرة، والإرادة).



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا»**.[1]

فالخيرية مستمرة، ولكن ميزتها المعرفة المستمدة من الفقه.

وحتى يرسخ الإيمان في القلب جعله الله يقوم على العلم والمعرفة؛ قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ [محمد: ١٩]

ثانيًا: المهارة

ومن أهم المهارات المطلوبة للنجاح:

- مهارة التفكير السليم والخيال المبدع، فلابد أن نعلم أن حياتنا من صنع أفكارنا وكم من فكرة صنعت نجاحًا.

---

(١) رواه البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين).

وعندما استمع حاكم مصر إلى تلك الكلمة التي قالها الحسن بن الهيثم: «لو كنت في مصر لعملت فيها عملا يحفظ لها ماء نيلها». أعد له الأموال، ودعاه إلى مصر لينفذ فكرته. لقد تعثرت فكرة ابن الهيثم حينها، ولكن مع الأيام نبتت الفكرة لتلد السد العالي، وكذلك كانت قناة السويس فكرة.. مجرد فكرة.

والخطوة التالية للتفكير السليم: أن يكون مدعمًا بمهارة الخيال المبدع. وفقد الإبداع في الخيال يحوله إلى الأحلام والذكريات. إن الخيال المبدع هو رؤية المستقبل على أضواء الماضي، وليس الدخول في كهف الأساطير.

 الأمل والنبي ﷺ

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ، وَذلا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».(١)

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ

---

(١) رواه أحمد، كتاب(مسند الشاميين)، باب(حديث تميم الداري).

وَقَالَ: «تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَر. وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُول اللَّهِ ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ: «تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». فَنَدَرَ الثُّلُثُ الآخر، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: «تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ. قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إلا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا سَلْمَانُ: رَأَيْتَ ذلِكَ؟» فَقَالَ: إي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الأولى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ». قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ.[1]

إنها المعجزة المحمدية التي استطاعت أن تصور لتميم الداري وسلمان الفارسي تصويرًا مبدعًا لصورة الإسلام القادم.

---

(١) رواه النسائي، كتاب(الجهاد)، باب(غزوة الترك والحبشة).

ثالثًا: الرغبة (الإرادة)

يروق لنا عندما يبزغ نجم من نجوم القيم ينير السماء أن نتذكر نجومنا العظماء الذين عجزت رؤوس الأقزام أن تطولهم.. وهذا النجم عندما يبزغ ينقلنا بسرعة إلى الأيام الأولى بعد وفاة النبي ﷺ، وقد ظن مَنْ دخل الإسلام رغبة أو طمعًا أن أبا بكر ذلك اللين الطيب سيكون لقمة سائغة، فارتد العرب حول الجزيرة، وادعى كثير من الكذابين أنهم أنبياء، ومنع البعض زكاة أموالهم فريضة الإسلام الرابعة...

وجلس أبو بكر في مجلس حكمه المتواضع على الْحَصْبَاء، والصحابة حوله في مسجد رسول الله ﷺ، وكل يعطيه مبرر أن يهادن ويسالم، فإذا إرادة من إيمان تنبعث وميضًا من عينيه يبرق في وجه عمر، وهو يقول: ما لك يا عمر؟! أينقص الدين وأنا حي؟! قال الصحابة مشفقون: لقد ارتدت معظم القبائل، ولم يبقَ إلا المهاجرون والأنصار، فيزداد العزم قوة، ويقول أبو بكر: أنا لها ... فكانت ردة وكان أبو بكر لها.

وانطلقت كتائب إحدى عشر جيشًا تؤدب هؤلاء الذين طمعوا في إرادة أبي بكر الرحيم أن تلين، وعادت العقول إلى الرؤوس قبل أن تطير، وعاد الإيمان مستقرًا لا تشويه شائبة مدعي.

وجلس خالد بن الوليد بعد معركة اليمامة القاسية التي قاتل فيها مسيلمة الكذاب مع جحافل بني حنيفة قتالا مريرًا، والصحابة يدفنون شهداءهم، ويطبِّبون جرحاهم، فإذا رسالة من أبي بكر ترد على بشرى خالد بالنصر وبالوضع الحالي ... تقول الرسالة:

«إني أحمد الله على نصره، وإذا وصلتك رسالتي فتوجه بجيشك الذي معك إلى فتح بلاد الفرس، ولا تجبر أحدًا».

إنها إرادة الصِّديق، الذي تعلم الأمل في قمة الضيق، ورأى ضوء العناية يشق قلب الظلام...

ولِمَ لا وقد قال له القرآن: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

فبعد أن علم أبو بكر أنه لا وقت للحزن مع العزيمة والإرادة ... لا وقت للحزن ما دام الله معنا، هل يفشل أو يضعف؟ أظنه لا.

فلنتعلم فن الإرادة من أبي بكر.
وأخيرًا ومرة أخرى نتعلم النموذج الإدراكي ...
فعندما تتغير العقيدة تتبدل القناعات، فيسهل التغيير.

لم يعمل منهج النبي ﷺ على تعديل المعلومات بقدر ما عمل في مجال تعديل القناعات كما قالها (طارق سويدان) من قبل.

والفاشل لا يستطيع تغيير عاداته السيئة التي تحجبه عن النجاح، أما الناجحون فهم أصحاب عادات النجاح.

ولا بد من بذل الجهد

فالسعادة هي ثمرة الرغبة والقدرة على التضحية بما نريده الآن، من أجل ما نريده بعد ذلك.

والانطلاق يحتاج إلى جهود هائلة، لكن ما إن نتخلص من الجاذبية حتى نأخذ حريتنا.

وحتى نحصل على السعادة

لا بد أن نجعل النجاح عادة.

لا بد أن نبذل الجهد لنتغلب على صعوبة البداية.

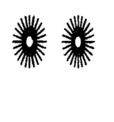
لا بد أن تكون لنا غاية أسمى لاستمرار السير حتى النهاية.

لا بد أن نضحي بما نحبه الآن لنحصل على ما نحبه في المستقبل.

فالسعادة هي ثمرة أو نتاج تضحياتنا
بجزء من الحاضر من أجل المستقبل.

وكثيرًا ما سمعنا الصالحين يقولون: «عانينا من التعود على قيام الليل عشرين عامًا ثم استمتعنا به بعد ذلك».

والنجاح حتى يكون عادة فإننا لا بد أن نتبع عاداته؛ فللنجاح عادات جعلها (ستيفن كوفي) سبعًا، وجعلها (ديل كارنيجي) الكثير والكثير في (كيف تكسب الأصدقاء، ودع القلق وابدأ الحياة)، وضبطها (جيلان بتلر وتوني هوب) في (إدارة العقل)، وشرحها زيج زيجلر في (النجاح للمبتدئين).[1]



ولكن أدعوك إلى أن تنتبه إلى التوازن عند استبدال العادات؛ فشد الجاذبية لبعض العادات يعوقنا عن الانطلاق، لكن الجاذبية أيضًا هي التي تُبْقِي عالمنا متماسكًا، فمن الخطر إلغاء الجاذبية تمامًا.

فعندما تكون هناك مشكلة في بناء العلاقات في العمل في البيت مع الأبناء، ونستطيع أن نحدد السبب في أنه عدم إصغائي للآخرين، يمكن صياغة المشكلة كالآتي:

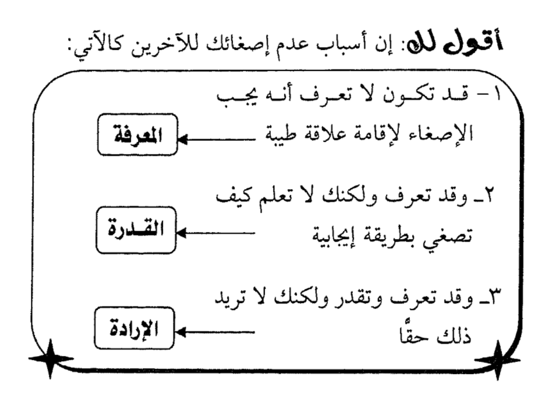
أن أبيِّن وجهة نظري، فكرتي، مفهومي، وأشرح كل ذلك بتفصيل ووضوح؛ بل ونادرًا ما أستمع إليهم أو أصغي إلى وجهة نظرهم.

أعلم أنهم يستاءون من ذلك، ولكن ما سبب عدم إصغائي؟

---

(١) هذه مجموعة كتب رائعة تصلح كمراجع لإدارة الذات

أقول لك: إن أسباب عدم إصغائك للآخرين كالآتي:



والآن هيا نجرب هذه الطريقة مع مشكلة أخرى:

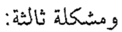
كيف تكتسب عادات حسنة نحو الوقت؟

ابدأ في صعود السلم التالي:

عرفت قيمة الوقت ← المعرفة.

ولديك وسائل تنظيمية ← المهارة أو القدرة.

وأصبح من المهم في حياتك هذا التنظيم ← الرغبة أو الإرادة.



ومشكلة ثالثة:

كيف تتخلص من عادة سيئة مثل التدخين؟

عرفت أن التدخين مضر بالصحة ← المعرفة.

بدأت تكتسب طرق ووسائل للاقتناع ← المهارة والقدرة.

أنجبت طفلا وتخاف عليه، ← الرغبة والإرادة

أصبت بمرض والتدخين قاتلك، ← الرغبة والإرادة

تولدتْ التقوى في قلبك وعرفت أنه حرام، ← الرغبة والإرادة

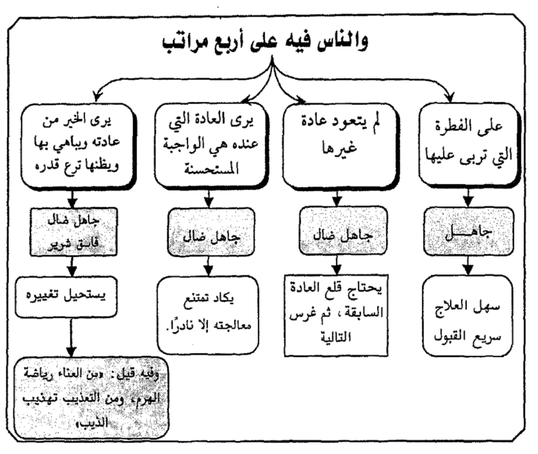
المجاهدة

هكذا وضع أبو حامد الغزالي خطته الرائعة لتغيير العادات السيئة واكتساب عادات حسنة، وجعل لها عنوانًا من كلمة واحدة وهو (المجاهدة).

والمجاهدة تبدأ عنده بالمحاسبة، وقبل أن نبدأ معه تعالوا نستمع إلى تحذيره وهو يقول:

«لو أردنا قمع العادات بالكلية حتى لا يبقى لها أثر لم نقدر عليه أصلا، ولو أردنا سلاستها وقودها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليها».

ثم نجده يؤكد أن العادات قابلة للتغيير.. يقول: «الخلق يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه، والطاعة له، وباعتقاد كونه حسنًا ومرضيًا...».



أما اكتساب الأخلاق الحسنة فتارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح؛ إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخير جميعًا.

ويرد أبو حامد الغزالي على من يعترض على قبول الأخلاق للتغيير يقول: «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: **«حسّنوا**

أخلاقكم».[١] وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن؛ إذ ينقل الصقر من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شَرَهِ الأكل إلى التأدب والإمساك، والفرس من الجماح إلى سلاسة الانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق».

خطة المجاهدة



أما خطته في المجاهدة فيقول فيها: «الأصل في المجاهدة الوفاء بالعزم».

حيث أن مجاهدة النفس هي الجهاد الأكبر[٢] ورَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**».[٣]

وقال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نفسي، مرة لي ومرة عليَّ».

وقال الحسن: «ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك».

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
[يوسف: ٩٠].

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ «يا معاذ: حسن خلقك للناس»، منقطع ورجاله ثقات. (إحياء علوم الدين، طبعة الشعب، ص ١٤٣٩.

(٢) قال العراقي: رواه البيهقي، وفيه ضعف.

(٣) رواه الترمذي، كتاب (فضائل الجهاد عن رسول الله)، باب (ما جاء في فضل من مات مرابطاً).

- وسئل الجنيد: متى يصير داء النفس دواءها؟

فقال: إذا خالفت النفس هواها.

- وسأل رجل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: متى أتكلم؟

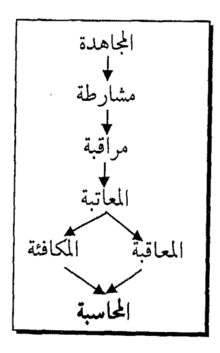
قال: إذا اشتهيت الصمت.

فقال:فمتى أصمت؟

قال: إذا اشتهيت الكلام.

وأركان الخطة التي وضعها أبو حامد الغزالي لمجاهدة النفس تقوم على خمسة مقامات:

١ـ المشارطة.
٢ـ المراقبة.
٣ـ المحاسبة.
٤ـ المعاتبة.
٥ـ المعاقبة.





أولا: تحديد المطلب والربح (تحديد الهدف).

هل هو التخلص من عادة سيئة أم اكتساب عادة حسنة.

وقمة الربح (تزكية النفس) ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ثانيًا: تحديد الشريك وهو العقل.

ثالثًا: تحديد القانون.

وهو النمط الداخلي والمبادئ الداخلية التي يتبناها الفرد، والتي عليها سيبنى النجاح. ونحن المسلمين نعتبر القرآن دستورنا، والرسول ﷺ قدوتنا.. ولقد قال ﷺ لنا «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا؛ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».(١)

وبعد هذا التحديد تبدأ المشارطة...

الشرط الأول: ما لنا بضاعة إلا العمر، فإن فني فقد فني رأس المال.

الشرط الثاني: هذا يوم جديد قد أمهلني الله فيه، فإن ذهب فأتمنى أن يرجعني الله إلى الدنيا لأعمل صالحًا ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا**

---

(١) رواه مالك، كتاب (الجامع)، باب (النهي عن القول بالقدر).

تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

الشرط الثالث: إن عفى عن إساءتي فقد فاتني ثواب المحسنين.

الشرط الرابع: إن العمل الصالح (وليس العادة) إذا تركته عاقبني الله وخسرت الدنيا والآخرة، وإذا عملت به نجحت في الدنيا والآخرة، فعليك يا نفس أن تتعودي على العمل الصالح.

المقام الثاني: المراقبة

وأصل المراقبة هي الإجابة عن سؤال جبريل عن الإحسان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ..»[(١)].

وهذا التهديد المرعب للغافلين﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى**﴾[العلق:١٤].

ثم هذه المعلومة التي تمر على الكثيرين، ولكنها من لطف الله أن يعلمنا إياها ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء: ١]. كل هذه ملامح لمعنى المراقبة.

ويقول سهل التستري: «لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان).

أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان»، وهذه مراقبة الفلاح في الآخرة.

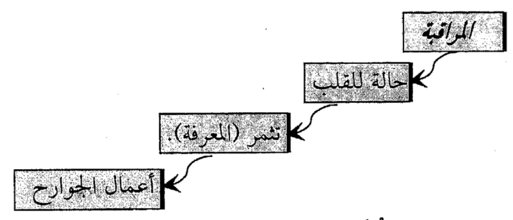
أما مراقبة النجاح في الدنيا فهي مراقبة النفس فيما شرطه عليها ومتابعتها هل تؤديه أم لا.

وأظن أن هذه الأبيات تثبت عادة المراقبة عندك؛ يقول الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تقلْ ... خلوتُ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفل ساعةً ... ولا أَنَّ ما تخفيه عنه يغيبُ

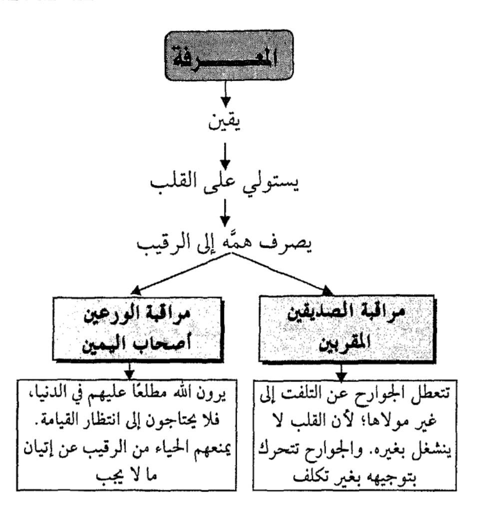
ألم ترَ أن اليومَ أسرعُ ذاهبٍ ... وأنَّ غدًا للناظرين قريبُ

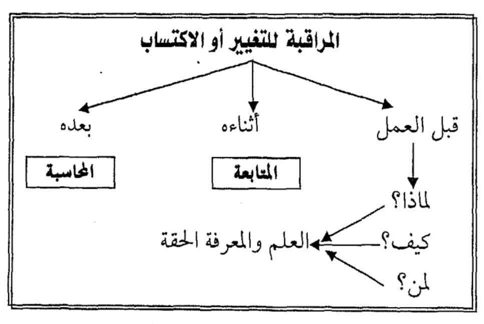


الحالة: الْتِفَات القلب إلى الرقيب، ومراعاته واشتغاله به.

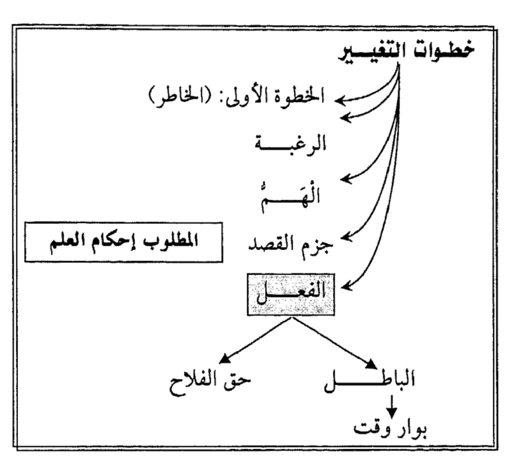
المعرفة: إدراك أهمية التغيير؛ حيث إن الرقيب لا يغفل ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩]. إن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر.

فالله هو الرقيب على النفس، وسِرُّ القلب في حقه مكشوف، كما أن ظاهر البشر للخلق مكشوف.


المعـــــرفة
يقين
يستولي على القلب
يصرف همَّه إلى الرقيب
مراقبة الصديقين المقربين
مراقبة الورعين أصحاب اليمين
تتعطل الجوارح عن التلفت إلى غير مولاها؛ لأن القلب لا ينشغل بغيره. والجوارح تتحرك بتوجيهه بغير تكلف
يرون الله مطلعًا عليهم في الدنيا، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة. يمنعهم الحياء من الرقيب عن إتيان ما لا يجب


المراقبة للتغيير أو الاكتساب
قبل العمل
أثناءه
بعده
المتابعة
المحاسبة
لماذا؟
كيف؟
لمن؟
العلم والمعرفة الحقة

وأوصى سلمان الفارسي سعدًا قال: «اتــق الله عنـد هَمِّـك إذا هممت».



«من ليس له عقل وازع عن الشهوات، فليس له بصر ناقـد في الشبهات».

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

عَنِ الأعرجِ قَالَ: قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ يَأْثُرُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**».(١)

---

(١) رواه البخاري، كتاب(النكاح)، باب (لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع).

وقال عيسى ابن مريم:

«الأمور ثلاثة:

أمر استبان رشده فاتبعه..
وأمر استبان غَيُّه فاجتنبه...
وأمر أُشْكِلَ عليك فَكِلْهُ إلى عَالِمِه.

﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].



بعد العمل

﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [الحشر: ١٨].

وقال عمر: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا».

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أوصني.

قال ﷺ: أمستوصٍ أنت؟

قال: نعم.

قال ﷺ: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإذا كان رشدًا فأمضه، وإن كان غيًّا فانته عنه.

وما التوبة؟
نظرٌ في الفعل بعد الفراغ منه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».[١]

عن ميمون بن مهران: «لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه».

قال الحسن البصري: «إنما خَفَّ الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».

وكان عمر يسأل نفسه: «ماذا فعلت اليوم؟». «والله لتتقين الله أو ليعذبنَّك».

﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ٢]. فإنها نعمة من نعم الله.

المقام الرابع: المعاتبة

وهي: وضع النفس في مكان المتهم، ووزن أعمالها.

وهو شكل من استحضار الآخرة؛ فمن مواقف الآخرة موقف الحساب والميزان والكتاب.. يقول الله تعالى:﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول تعالى:﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب (الأدب)، باب(الاستغفار).

وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ومن مشاكل النفس أنها تنسى، ولذلك كان الإحصاء والتسجيل.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وقد تجد صعوبة في معرفة ما في نفسك، ولكن الأمر مختلف في الآخرة.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

يقول أبو حامد الغزالي:

«فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله -تعالى- لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذَّرِّ من الْخَطَرَات واللحظات».

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس بالأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الْخَطَرَات واللحظات؛ فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خَفَّ في القيامة حسابُه، وحضر عن السؤال جوابه، وحسن متقلَّبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته،وطالت في عُرُصَات القيامة

وقفاتُه، وقادته إلى الخزي والْمَقْت سيئاته. فهذا موقف الحساب في الآخرة، وهو النموذج الذي نستهدي به، فيجب أن نقف مع النفس وقفة مشابهة في الدنيا، نستجلي عاداتها، ونتعرف على صفاتها وما وصلت إليه، ونبدأ في خطة المجاهدة لنصل إلى أمرين:

١- تغيير السيئ من العادات.

٢- اكتساب الصالح من العادات.

وهنا يحدث النجاح في الدنيا، والفلاح في الآخرة والسعادة.



فقد يقف البعض مستنكرًا أمام حوادث ذكرها أبو حامد في الإحياء حول تصرفات البعض مع أنفسهم عند المعاصي كنوع من أنواع العقوبة والمحاسبة، ولن أذكر هذا هنا ولكن أضع لك حالهم كسؤال:

ماذا تفعل مع نفسك إذا كنت مثل :

١- رجل كلم امرأة، فلم يزل حتى وضع يده على فخذها.

٢- رجل كان في بيته يتعبد، فرأى امرأة فأعجبته فخرج خلفها (لا لم يخرج)، إنما أخرج إحدى رجليه وبقيت الأخرى في البيت، فتذكر ربه وعلم أنه مُقْدِم على معصية.

٣- إذا احتجت يومًا أن تغتسل وكانت الليلة باردة، فقلت لنفسك: أنتظر حتى الصباح فأسخن الماء، ويفوت الفجر ... وتذكرت.

٤- فاتتك صلاة العصر في الجماعة.

٥- مررت على رجل من أصدقائك فوجدته قائمًا، فقلت:هل يظل عمره قائمًا، وتذكرت أنك قلت ما لا يعنيك.

٦- فاتتك الصلاة في وقتها.

٧- تجلس أمام الإنترنت طويلاً.. طويلاً.. وأنت تدري ماذا تفعل.

٨- تعيش مع القنوات الفضائية في حالة سلام وأمن وتلاصق.

٩- بينك وبين والديك ما يجعلهما في غيظ منك.

١٠- هل أكمل أم يكفي هذا.

ثم ماذا تفعل أنت عندما:

١- تفوتك الصلوات الخمس.

٢- تنتهك حرمات الله.

٣- تظلم ذوي أرحامك وتقطعهم.

٤- تقسو على زوجتك وتؤذيها.

٥- تعذب موظفيك، ولا تعطهم حقوقهم.

٦- تخون شريكك وتخفي عنه الكثير.

٧- تجعل هدفك من تجارتك احتكار السوق وتدمير الغير.

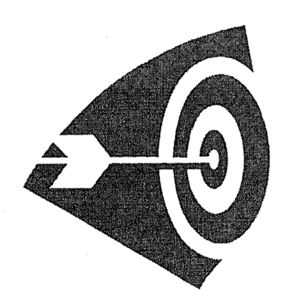
٨- تعيش أيامك هباء فلا شيء يفيد.

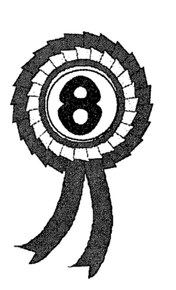
٩- تتحايلين على ستر العورات بكافة السُبل.

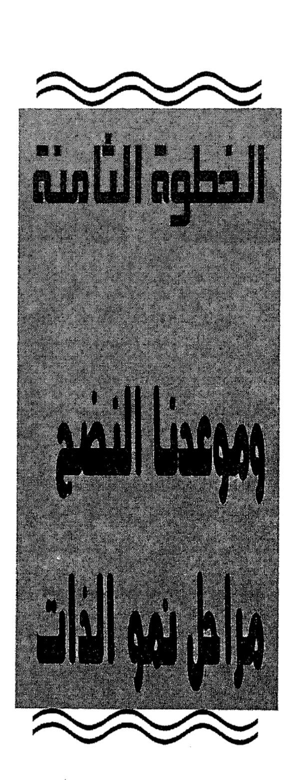
١٠- الكذب... الكذب... الكذب.

ألا تحتاج كل هذه السلوكيات إلى وقفة مجاهدة، تنتهي بمعاقبة إذا عدت إليها.. حدد لنفسك سبيل النجاح، واجعل النجاح عادة موصلة إلى السعادة.

ولا تنسَ المكافئة عندما تنتصر على شيطانك؛ فإن النفس يعجبها أن تقول لها: أحسنت.. ولكن لا ترجمها بالورد حتى لا تختنق، واستمر في المحاسبة بعد وردة واحدة.



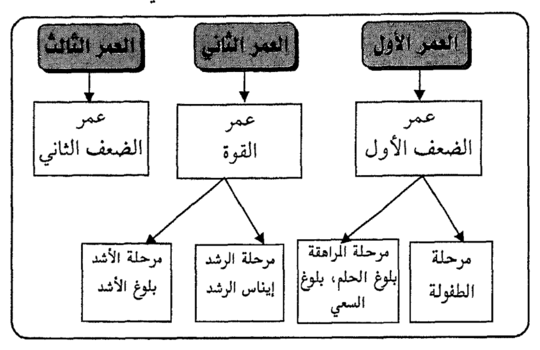

8


الخطوة الثامنة
وموعدنا النضج
مراحل نمو الذات



عندما نقرأ قول الله تعالى في القرآن: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤]

ندرك تلك الأعمار الثلاثة التي يمر بها الإنسان:



في **مرحلة الطفولة:** يكون الطفل تابعًا لِمَنْ حوله، معتمدًا تمامًا عليهم، وكذلك في بدايات **مرحلة المراهقة**، ولكن تتميز مرحلة المراهقة بسعي الطفل إلى إثبات الذات؛ فنجده يقلد الكبار، ويحاول أن يفعل مثلهم؛ بل ويسعده وصفه بالكبير، ويحزنه أن تعامله كطفل.. حتى نصل إلى نهاية مرحلة المراهقة؛ حيث بداية الشعور بالاستقلال وتحمل المسئولية، وهذه المرحلة سماها القرآن **بلوغ السعي**، فقال عن إسماعيل -عليه السلام-: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ**

السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

هكذا.. (السعي): أي القدرة الشخصية على الأداء والعمل.

وتنتهي هذه المرحلة بالرشد، وهو مجموعة الصفات التي تؤهل الإنسان لأنْ يستطيع التصرف في ماله وحياته بنفسه دون الاستعانة بأحد.

يقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]

ثم تستمر هذه المرحلة من خلال (الشخصية المستقلة)، والتي يستطيع فيها الإنسان الاعتماد على نفسه، والاهتمام بمصالحه الشخصية؛ حتى يصل إلى مرحلة جديدة هي (**بلوغ الأشد**) حيث النضج.. يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]

في هذه المرحلة لست وحدك؛ فهناك والدان وعائلة وذرية، الكل متواجد في دعائك.

في هذا السن أمر الله -تعالى- الأنبياء بالخروج من عزلتهم إلى الناس يعرفونهم عليه سبحانه وتعالى.

في هذا السن نزل النبي محمد ﷺ من الغار الذي كان يتعبد فيه ليدعو الناس.. عَنِ الأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلا فِي إِمْرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلا فِي سُوقِ عُكَاظٍ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: قُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا». وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو جَهْلٍ». [1]

في هذا السن بدأ سيد قطب في كتابة أعظم كتبه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)

في هذا السن نشرت أول كتابين لي، وظننت أن الناس لن يستوعبوا فكرتي الجديدة (إدارة الذات) و(بلوغ بلا خجل). وفي خلال ثلاث سنوات كانت كتبي أكثر من عشرة ويقبل عليها الشباب بحمد الله.

إنها مرحلة الإنصهار مع المجتمع المحيط، وتحمل مسئوليات الآخرين والتعاون والتكامل معهم..

هذه هي مراحل العمر المتدرجة التي لا يستطيع الإنسان أن يعبر إحداها دون المرور عليها كلها، وفي هذه المراحل يحدث النمو المتدرج؛ نمو جسدي، ونمو عاطفي، ونمو عقلي، ونمو اجتماعي.

---

(1) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند الأنصار)، باب (أحاديث رجال من أصحاب النبي).

النمو المتدرج

طفل: اعتماد كامل على الآخرين؛ يوجهونه، يرعونه، يطعمونه، وبدون هذه الرعاية قد يفشل.

ناضج: أكثر وعيًا بالاعتمادية، وأن هناك نظام بيئي يسير الطبيعة والمجتمعات، وأن أعلى مراحل طبيعتنا هي علاقتنا بالآخرين، وأن الحياة البشرية تقوم على التعاون.

مراهق: استقلال أكثر فأكثر بدنيًّا، عقليًّا، عاطفيًّا ماليًّا. لقد أصبحنا قادرين على الاعتناء بأنفسنا والتصرف من ذاتنا معتمدين على أنفسنا.

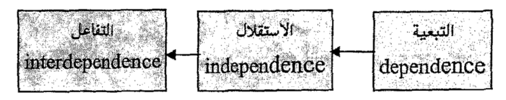
ولكن يمكن أن نكتشف أن:



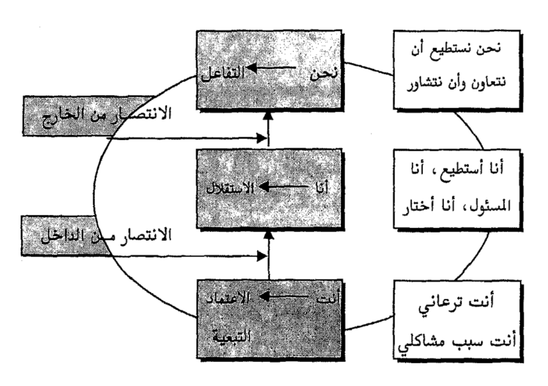
* بلوغنا مرحلة النضج الجسدي الكامل لا يعني بالضرورة بلوغنا مرحلة النضج العقلي أو العاطفي.
* التبعية البدنية لشخص ما لا تعني بأنه غير ناضج من الناحية العقلية أو العاطفية.

نمو الذات

هذا هو التدرج في النمو على المستوى الإنساني، وكذلك نمو الذات يمر تقريبًا بنفس المراحل المتدرجة.



وآخر هذه المراحل (التعاون): هي سمة المجتمعات الحديثة؛ حيث لا يستطيع ويستحيل فيها على الأطراف أو الجماعات أو المؤسسات التطور دون الاعتماد على بعضها البعض أو تضافر جهود عدة أطراف.



طفولة ومراهقة الذات

التابعون: يحتاجون إلى الآخرين للوصول إلى ما يريدون

نمط [أنت] السلوكي

[أنت] تعتني بي

[أنت] تأتي إلى

أنا ألومك [أنت] على نتائج فشلي

رشد الذات

المستقلون: يستطيعون الحصول على ما يريدون بجهودهم [الشخصية المستقلة]

نمط [أنا] السلوكي

[أنا] أستطيع أن أفعل هذا

[أنا] مسئول

[أنا] أعتمد على نفسي

[أنا] أختار

نضج الذات

المتفاعلون : يوحدون جهودهم مع جهود الآخرين لتحقيق نجاح عظيم مشترك .

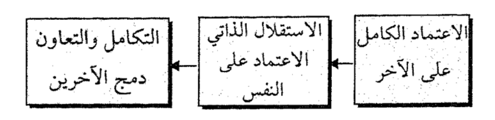
نمط [نحن] السلوكي

[نحن] قادرون على فعل ذلك

[نحن] نستطيع أن نتعاون

[نحن] قادرون على دمج مواهبنا وقدراتنا لإيجاد شيء أعظم معًا

[نحن] مندمجون



ولا بد من التعاون؛ لأن جميع الكائنات يعتمد بعضها على بعض، ولا يوجد كائن يستطيع أن يعش مستقلا تمامًا.. بمعنى (الانعزال عن الآخرين وعدم التفاعل معهم)، ومعنى التعاون أن نستطيع أن نحقق معًا ما لا يستطيع أحدنا بمفرده تنفيذه.

ولا ننسى أن بعضنا يقف نموه دون أن يدري في أحد هذه المراحل؛ سواء جسميًّا أو عقليًّا أو عاطفيًّا.



على سلالم النضج... أين أنت؟

هذه ملامح الحوار مع مَنْ حولك، فاختر أكثرها ترددًا على لسانك... دائمًا أحيانًا.. أبدًا.

العبـــــــارات	دائمًا	أحيانًا	أبدا
١- أنا بحاجة إليك لمساعدتي.			
٢- أنا قادر أن أعملها بنفسي وبمفردي.			
٣- أعتمد عليك في هذا، وسأقوم بدوري.			
٤- آراء الآخرين عني هي مصدر أمني وثقتي بنفسي.			
٥- قيمي أعرفها، وأنطلق منها.			
٦- طاقتي شعاع ضوء، ولكن معك سنكون شعاع ليزر			
٧- أرجوك لا تكرهني.. فقد تدمرني .			
٨- قد لا تحبني ولكني بخير.			
٩- فخور بنفسي، وبحبك لي.			
١٠- فكِّرْ لي.. خطط لي.. نفذ لي، أحتاجك دائمًا.			
١١- هل هذا رأيك فيَّ؟ ولكني أرى غير ذلك.			
١٢- هذه لك؛ لأني أنتظر منك الكثير.			
١٣- هذه مشكلتي، فما الحل؟			
١٤- أظن أن لي رأيًا فيما تقول.			
١٥- نفكر معًا.. نخطط معًا.. ننفذ معًا.. تحتاجني كما أحتاجك.			
١٦- لو ساعدتني ما كنت فشلت.			
١٧- دعني.. فإنها مشكلتي.. وسأسعى في حلها.			
١٨- هذا أنا، وأعرف من أنت.			



العبارات	دائمًا	أحيانًا	لا
أ	٠	١	٢
ب	١	٢	٠
جـ	٢	١	٠

الآن.. أين أنت؟

أكثر من ٢٧

لقد وصلت إلى النضج، وعبرت مرحلة الاستقلال بخبرات واسعة. تستطيع الآن أن تكون ضمن فريق الفاعلية.. انطلق.

من ١٨ إلى ٢٨

لا زلت تتسلق إلى النضج أثقال الاستقلال تجذبك إلى التبعية.

تخلص من (أنا).. حاول وستنجح.

راجع مبادئ إدارة الذات، واستوعب مبادئ الفاعلية الاجتماعية.

أقل من ١٨

كم عمرك اليوم لا أقصد عمرك بمعنى السن ولكن عمرك العاطفي والعقلي. لماذا لا تنسى (أنت)، تخلص من شعورك بالوحدة والخوف فكر لنفسك، خطط لنفسك، نفذ لا تجعل الآخرون يلونون؛ لك لوحاتك استخدم ألوانك أنت، أقلامك أنت.

أناديك: انضم إلى نادي إدارة الذات.

وذات الإنسان هي جميع بدنه (جسده وعاطفته وعقله وفكره) وبتدرج نمو الذات من التبعية إلى الاستقلال إلى التعاون والتكامل يتبعه تدرج في نمو بدنه وعاطفته وعقله..

وهناك «ثلاثة أبعاد» لنمو الذات في كل مرحلة من هذه المراحل؛ وهي:

- النضج الجسماني *physical Maturity*
- النضج العاطفي *Emotional Maturity*
- النضج الذهني *Mental Maturity*

إن انتقال الفرد من مرحلة نمو إلى مرحلة تالية لا يعني بالضرورة أن يتم ذلك على جميع الأبعاد الثلاثة؛ فالفرد يمكن أن يكون مستقلا جسمانيًّا، ولكن معتمدًا نفسيًّا وعقليًّا..

إن الانتقال من مرحلة (الاعتماد) إلى مرحلة (الاستقلال) هو نمو (للذات) نفسها؛ لذلك فهي تحتاج إلى جهد كبير جدًّا من الفرد، إنها «الانتصار الذاتي والداخلي.. إنها نواة نمو الذات».

والجدول التالي يبين هذا التدرج في نمو الذات على محورين؛ الرأس يضم أنواع النضج، والأفقي يضم مراحله:

	التابع (المعتمد) dependence	المستقل independence	المتفاعل interdependence
النضج الجسماني Physical Maturity	- معاق بدنيًا (مشلول) - أنا بحاجة إليك لمساعدتي	قادر على القيام بعملي بنفسي وبمفردي	معتمد على نفسي وقادر، ولكني أميز أنَّ في استطاعتي أن نعمل أنا وأنت لننجز أكثر بكثير مما لو عملت وحدي وبأقصى طاقتي.
النضج العاطفي Emotional maturity	إحساسي بكياني وأمني يأتي من أراء الآخرين عني؛ فإن كرهتني فإن هذا تدمير لي.	- أقيِّم نفسي.. - أوجه نفسي من داخلي ومن إحساسي بقيمتي. - لا أتأثر بحب الناس أو معاملتي بشكل جيد أو سيء. - لا أهتم كثيرًا بآراء الآخرين عني طالما كنت راضيًا عن أفعالي ومقتنعًا بها	أستشعر إحساسًا عظيمًا بالجدارة في داخلي، ولكني أميز الحاجة إلى الحب والعطاء، وتلقي الحب من الآخرين.
النضج الذهني Mental maturity	- أعتمد عليك كي تفكر لي وتفكر في كل ما يتعلق بحياتي. - أنتظر أن يحل الآخرون مشاكلي ويفكرون بدلا مني.	- أستخدم أفكاري الخاصة. - أنتقل من مستوى فكري إلى آخر. -أفكر بشكل مبدع وتحليلي. - أنظم أفكاري وأعبر عنها بطريقة مفهومة - أستطيع أن أحل مشاكلي بنفسي.	- أعرف أني بحاجة إلى خلاصة فكر الآخرين كي أضمه إلى فكري الخاص. - أنا بالناس والناس بي

وبعضنا يقف نموه دون أن يدري، هل وقف عند التبعية مثلا أو الاستقلال، فيقف أيضًا عند ملامح تلك الذات التابعة أو المستقلة.

وببساطة لو أن إنسانًا كان طفلا وتابعًا لأمه وأبيه، يعتمد عليهم في كل شيء هل هذا إنسان مؤثر في الحياة؟ لكن إذا كبر هذا الإنسان وما زال يعتمد على أبيه وأمه، فما موقفه من الآخرين؟

هناك أناس يصلون إلى سن الأربعين وما يزالون يعتمدون على أبيهم وأمهم أو أي إنسان آخر! هل هذه أنماط ناجحة؟ هل تحول من التبعية إلى الاستقلال؟ إنهم لا يزالون يأخذون أفكارهم ومبادئهم وأخلاقهم مِمَّن حولهم؛ مثلما قال النبي ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».[1]

> فالبيئة تشكل عندنا معظم المبادئ، وهي مؤثرة في نجاحنا؛ فبعد فترة يبدأ الإنسان في التغيير، وعادة ما يكون معظم هذا التغيير في مرحلة المراهقة ونطلق عليه تمردًا.

نعم قد يتمرد على مصدر التلقي وهو أبيه وأمه ويتجه غالبًا لجهة أخرى. فلو اتجه إلى ناحية مصدر يماثل أباه وأمه فلن يصير بينه وبينهم مشكلة، أما لو اتجه إلى ناحية مختلفة عن أبيه وأمه فسيحدث تضارب وستحدث المشكلة.

---

(1) رواه البخاري، كتاب (الجنائز)، باب (ما قيل في أولاد المشركين).

ففي هذه الفترة يتجه الأفراد للاستقلال؛ فالبعض يستطيع الاستقلال والآخر لا يستطيع ذلك، ويحاول أن يغير مصدر التلقي، فإن كان مصدر التلقي السابق هو أمه وأبوه يصير مصدر التلقي عَالِمًا من العلماء أو سياسيًا أو مفكرًا أو أصحابه.أما الذي يستقل ويبدأ في التفكير بنفسه فقد بدأ طريق الاستقلال.

لا تسد أذنيك

الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ كان من قبيلة مشهورة وهي قبيلة دوس، وقد جاء إلى مكة أثناء بعثة النبي ﷺ فحذرته قريش من النبي ﷺ، وقالوا له: خرج من عندنا رجل ساحر وأي إنسان يسمعه يسحر به، فلا تجلس معه أبدًا حتى لا يسحرك، فماذا فعل الطفيل بن عمرو؟

أحضر قطنًا ووضعه في أذنه حتى لا يسمع شيئًا، وكان النبي ﷺ جالسًا قرب الكعبة يقرأ القرآن وهو لا يسمعه، فبدأ يفكر الطفيل ويقول: أنا إنسان عاقل أستطيع أن أميز بين الحق والباطل، وأقدر أن أميز السحر من غيره، وأنا سيد دوس كيف اتبع سادة قريش، ولماذا لا أحكم بنفسي؟ فنزع القطن من أذنه وجلس ليستمع للنبي ﷺ.. لقد بدأ رحلة النجاح، لقد أصبح مستقلا وغير تابع.

يجب أن نساعد أبناءنا على الاستقلال، يجب أن نوفر فرصة لهم ليحكمون عقولهم؛ وذلك حتى يستقلوا.

لا بد أن اجعل عندهم شخصية مستقلة تفكر بشكل مستقل. فمن أجل النجاح يجب أن ينتقل الإنسان من التبعية للاستقلال، ثم من الاستقلال إلى التعاون.

الاستقلال لا يكفي

نعم الاستقلال إنجاز عظيم ولكنه ليس أعظم الإنجازات.

الاستقلال تمجده الأنماط الاجتماعية، ووسائل تحسين الذات تصنع الاستقلال كقاعدة انطلاق.

والكثير يظنون أن الاتصال بالآخرين والعمل الجماعي والتعاون كأنه رِدَّة عن الاستقلال.

ولكن نقول لكم

«ليس الاستقلال هو غاية التطور أو آخر مداه، وكثير من الناس يتوقفون عند هذا المدى بسبب الأنانية، والتي هي شعار الاستقلال والحرية».

وتبدأ النتائج المدمرة للأنانية:

طلاق الزوجة، هدم العائلة، هجر الأولاد، تفكك الشركات، انعزال الأفراد؛ فإن كل هذه الأنماط التعاونية يعتبرها المستقلون قيودًا تُحِدُّ من الحرية، فالحرية عندهم هي الهروب من المسئوليات.

فقد تطلق زوجتك، أو تسألي زوجك الطلاق بدعوى الاستقلال والحرية؛ بمعنى أنك لا تستطيع أن تعيش مع الآخرين؛ فأنت مكتفٍ بذاتك، مستقل بها، والحقيقة أنه الهروب من المسئوليات الاجتماعية، لمجرد أنها قد تقيد أو تحد من الحرية، إنها المراهقة المستمرة.

لماذا نمجد الاستقلال؟

قالوا: هو رد فعل للتخلص من التبعية وسيطرة الآخرين علينا، ومحاولات تحجيمنا أو استغلالنا والتلاعب بنا.

وبسبب سوء فهمنا للتعاون الذي يظنه البعضُ شكلا من أشكال التبعية يتخلص البعض من أي ارتباط (حتى العائلي) بدعوى الاستقلال.

وبدعاوى براقة مثل كسر القيود، التحرر، تأكيد الشخصية، أقوم بما يخصني من أعمال نفاجئ أن هذا ليس استقلالا، إنما هي تبعية.. نعم هي تبعية أعمق، تبعية داخلية، تبعية للذات المراهِقَة.

فهل الظروف سبب للتبعية؟

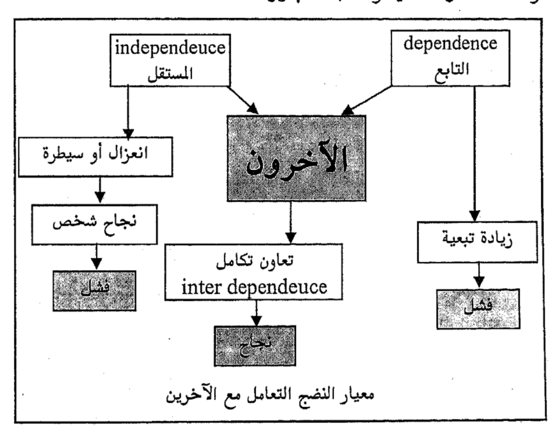
قد تكون.. ولكن التبعية تتعلق بنضج الشخصية لا بالظروف الخارجية؛ حيث تسعى الشخصية إلى الاستقلال الذي يعطينا القوة ولا يجعلنا شغل الآخرين، ويحررنا من الاعتماد على الظروف وعلى الآخرين؛ فهو هدف مهم ولكنه ليس الهدف النهائي.

فإن أعظم الإنجازات أن نتصل بالآخرين لا بأنفسنا فقط.

نعم المستقل منتج جيد على المستوى الشخصي، ولكنه لا يكون قائدًا أو عضو فريق جيد؛ فقد تفشل في حياتك الزوجية والعائلية، والحل هو بلوغ حد النضج من أجل التعاون مع الآخرين، ومسايرة نمط التعاون السلوكي.

مع النضج تأتي الفاعلية

وكلما زادت فترة التبعية تأخرت مرحلة الاستقلال وتأخر النجاح؛ فالإنسان إذا لم يخرج من المرحلة الأولى يظل فاشلا، وإذا تجاوزها لمرحلة الاستقلال يعتبر ناجحا، ولكنه إذا لم يتجاوزها لمرحلة التعاون لا يكون نجاحه بارزًا.



معيار النضج التعامل مع الآخرين

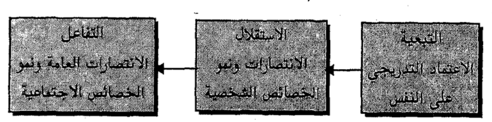
فمحاولة تحقيق الفاعلية بالاستقلال أشبه بمحاولة لعب التنس بمضرب الجولف؛ فالأداة لا تلائم الواقع.

> فالاستقلالية تتعارض مع طبيعة الحياة التي تدعو إلى التعاون وقمة الفاعلية والنجاح، والتي لا تكون إلا بالتكامل مع الآخرين.

فأنت كشخص متعاون (متفاعل) *interdependence* تشاطر الآخرين أنفسهم بعمق وبشكل هادف، ويصبح لك مدخلا إلى المصادر الواسعة من إمكانيات البشر من حولك.

والتابعون ليس عندهم المزايا ليصبحوا متعاونين؛ فهم لا يملكون القدر الكافي من أنفسهم، فإذا أصبحوا مستقلين يصبح الطريق مفتوحًا إلى التفاعل.

فطريق النضج أوله التبعية (الاعتماد)، ثم الاستقلال التام والاعتماد على النفس، ثم التفاعل والانتصارات الخاصة.



ولا نستطيع عكس هذه العملية، كما أننا لا يمكننا أن نحصد قبل أن نزرع ما نريد أن نحصده.

والاستقلال هو الخصيصة الأساسية للعمل بفاعلية في مجال

(الانتصارات العامة)، والعمل ضمن فريق، والتعاون والاتصال.. فالاستقلال هو أساس التفاعل الفعال.

فيجب

أولا أن نتعلم الاعتماد على النفس (الاستقلال)

وثانيًا: كيف نتعاون مع الآخرين.

فكل الناجحين ليسوا مستقلين لكن متعاونين؛ فهي سلسلة مركبة في الحياة.

الزوجة:

مثال الإنسان الذي يتسم بالتبعية في علاقته العاطفية أو الاجتماعية، مثال الزوجة التي تتبع زوجها ولا يكون عندها أي شخصية أو أي غاية أو اختيار داخلي، وتنفذ ما يريد حتى لو كانت هي لا تريده.. هذه الزوجة غير ناجحة؛ لأن من شروط النجاح الارتياح الداخلي، وبالطبع في هذه الحالة لا تكون شاعرة بارتياح، لكن يمكن بعد فترة أن تستقل هذه الزوجة بنفسها، وعندما تستطيع الاستقلال تستطيع أن تبدي رأيها ووجهة نظرها؟

فمن هي الزوجة الفعالة؟
هل هي التي تتحاور أم الصامتة التابعة؟

بالطبع التي تتحاور؛ لأنها إنسانة مستقلة، وبالتالي تكون فعالة

وتبدي وجهة نظرها وأسبابها ودورها في الأسرة أفضل. ولا نقصد هنا بالاستقلالية الاستقلال عن الزوج، فهنا ستصل الزوجة للعناد، ولمحاولة إثبات أنه ليس له حكم عليها، وستصل بالتدريج للتمرد، مما يسبب المشاكل والخلافات في البيت.

إذن: يجب أن تتحاور الزوجة مع زوجها وتتعاون معه في حياتهما بكل أشكالها.

فالتابع فاشل والمستقل الذي لا يتعاون مع الآخرين فاشل، والحل هو الانتقال من التبعية إلى الاستقلالية لنصل سويًا إلى التعاون.. قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

فهذه رسالة ربانية في كتابنا المحكم (القرآن)؛ أن نتعاون.

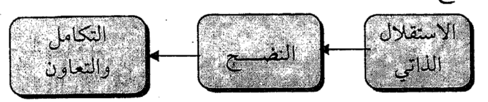
إن كل الناجحين لا ينجحون باعتمادهم على أنفسهم فقط، ولكن قمة النجاح يصل إليها الإنسان بالتعاون مع الآخرين وإنتاجية الإنسان تكون أفضل بالتعاون، وهنا فرق بين التبعية والتعاون.

فالتبعية	أن تفكر لي وتقرر لي.
والتعاون	أنا أستفيد من طاقتك وأنت تستفيد من طاقتي.

فهذا العمل الجماعي هو قمة النجاح والناس اليوم عندهم استقلالية أكثر من اللازم؛ فهم يعتقدون أن التعاون مع الناس ضعف، ولكن بالعكس فالدراسات أثبتت عكس ذلك؛ فأنت ضعيف إذا كنت تابعًا،

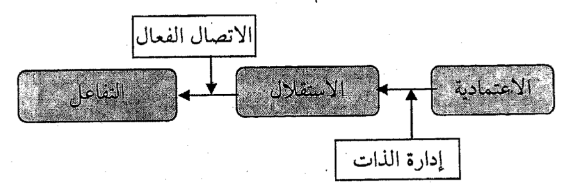
وأنت ضعيف إذا أصبحت مستقلا دون تعاون مع الآخرين، فأنت محتاج للآخرين للتعاون معهم لا لتتبعهم.

وهذا هو المعنى الأساسي الذي يقوم عليه النجاح وتقوم عليه مبادئ النجاح.



ونصل إلى التواصل والعمل بكفاءة مع الآخرين وتحقيق حياة أفضل لهم ولأسرهم ولمن حولهم.

فالمستقل يستطيع أن يفعل كل شيء بمفرده، ولكن النضج هو إدراك ما يحققه التفاعل الْخَلاَّق بين إنسان وآخر أكثر مما يستطيع أي فرد أن يحققه بمفرده؛ وخاصة في (مجال العلاقات الإنسانية)؛ حيث يحتاج الجميع فيها إلى الحب والعطف والتراحم، مما يحقق السعادة الحقَّة.



لا بد من المرور على الاستقلال؛ حيث تتولد عندك الثقة الكافية بالنفس، وهذه المبادئ تعترف باحتياجك للآخرين.

فمبادئ إدارة الذات تنقل من الاعتمادية إلى الاستقلال، ومبادئ الاتصال الفعال تنقل من الاستقلال إلى التفاعل؛ حيث تكون علاقات متوازنة وفعالة مع النفس ومع الآخرين، ولا يعني اكتساب تلك المبادئ الانعزال عن الآخرين حتى يتم الاستقلال، ولكن تبذل الجهد في المجالين.



الاكتساب التدريجي

الشخصية المستقلة الفعالة هي التي اكتسبت **مبادئ (إدارة الذات)**، ومن أمثلتها التي ذكرها كوفي:

١- كن مبادئًا (مبادئ رؤية الذات).
٢- ابدأ حيث تنتهي(ابدأ والنهاية في ذهنك)، (مبادئ رقابة الذات).
٣- الأهم أولا: (مبادئ قيادة الذات).

والعلاقات المتوازنة الفعالة هي التي اكتسبت **مبادئ (الانتصار الاجتماعي الخارجي)**، ومن أمثلتها التي ذكرها كوفي:

١- فكر من منطلق (اكسب – تكسب) .
٢- افهم الآخرين أولا، ثم اجعلهم يفهمونك.
٣- تفاعل إيجابيًا تتضاعف المحصلة *(synergism)*

والتعاون يجعلك متصلا بالعالم مِنْ حولك في تلاحم *Synergy*

ماذا يحدث عندما يحاول واحد أن يسابق الزمن فيتخطي مرحلة من هذه المراحل الطبيعية حتى يصل إلى ما بعدها بسرعة؟

وللإجابة تذكر الشكل السابق؛ فإن التابع عند تعامله مع الآخرين دون المرور على مرحلة الاستقلال فإنه سيزداد تبعية واعتمادًا على الآخرين، والمستقل عندما يتعامل مع الآخرين دون إدراك مبادئ الانتصار الاجتماعي فإنه سيتعامل إما بعزلة أو بسيطرة، وفي كلتا الحالتين سيعتبر مرتدًا في نظرهم إلى مرحلة التبعية. لا بد من المرور على مبادئ إدارة الذات؛ حتى تنتقل من التبعية إلى الاستقلال، ثم على مبادئ الانتصار الاجتماعي والتواصل الفعال حتى نستقر ناضجين في مرحلة التعاون والتكامل.



هذه المبادئ حتى تصل إلى التفاعل:

- الاعتراف بالجهل أول مراحل التعلم.
- الناضج هو المنصت للآخرين.
- إدارة الذات بداية النجاح.
- إدارة الذات هي الإرادة من الداخل.
- هي الطريق إلى الشخصية الفعالة.
- هي المدخل إلى علاقات متوازنة وفعالة مع الآخرين.



ولكن المنظومة الأساسية لعادات النجاح لا بد أن تضم في بدايتها عادات الانطلاق من الداخل، أو النمو الداخلي أو إدارة الذات التي تعتبر القاطرة الصاروخية القوية التي تنطلق بعربات المعاملات مع الآخرين إلى محطة النجاح... إنها تسير الآن بوقود الشخصية المستقلة الفعالة.

العلاقات المتوازنة والفعالة مع الآخرين الشخصية المستقلة الفعالة.



الآن اكتب في هذه الصفحة مجموعة العادات التي ترى أنها تنقلك إلى النضج وإرسالها إلى بريدي الخاص لنتعاون على رسم خريطة جيدة لهذا الارتقاء، ولأدلك على إدارته سواء كانت كتبًا أو دورات أو دراسات أو ممارسات.



أولا : من التبعية إلى الاستقلال.

عادات إدارة الذات (الانتصار الداخلي).

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

٧-

٨-

٩-

١٠-

ثانيًا: من الاستقلال إلى التعاون والتكامل

عادات الشخصية الاجتماعية الفعالة (الانتصار الخارجي).

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

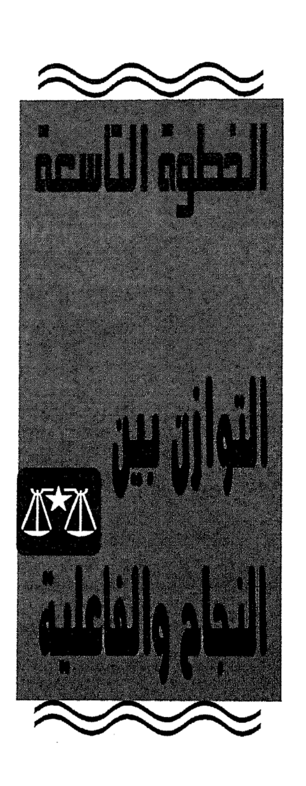
٧-

٨-

٩-

E.Mail :akramreda@yahoo.com
:akramrda@hotmail.com


9


الخطوة التاسعة
التوازن بين
النجاح والفاعلية



السعادة الحقيقية

ماذا تعني الفاعلية من وجهة نظرك؟

هذا السؤال سألته في أكثر من برنامج تدريبي، فكانت إجابة أكثر الحاضرين: إنها الإنتاج!

وهذا يعني أن فاعلية إنسان تقاس بمقياس واحد؛ هو مدى إنتاج هذا الإنسان، وفاعلية أي أداة من الأدوات تقاس بمدى إنتاجها، وفاعلية أي شخص تتعامل معه تقاس أيضًا بمدى إنتاجه.

ولكن ليست هذه هي الفاعلية *Effectiveness* ، فإذا رجعنا إلى كتب الإرادة سنجد أن هذا تعريف شيء آخر اسمه **الكفاءة** *Efficiency*.. وهو:

Getting the most output from the least amount of input

الحصول على أكبر الْمُخْرَجَات من أقل الْمُدْخَلات.

والفاعلية شيء آخر؛ إذا أردنا أن نتعرف عليه لا بد أن نذهب إلى أعظم الناس فاعلية وهم الأنبياء ... تعالوا نسأل محمدًا ﷺ عن الفاعلية.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنَّ هَـذَا الـدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**».[1]

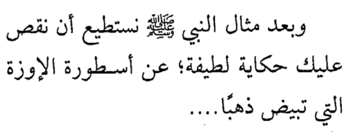
(١) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند المكثرين)، باب (باقي المسند السابق).

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَه**».[(١)]

«**إن هذا الدِّين متين، فأَوْغِلْ فيه برفق؛ فإن الْمُنْبَتَّ**[(٢)] **لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**».[(٣)]

إنها صورة يعرضها علينا رسول الله ﷺ.. ذلك الرجل الذي ركب دابة (حمارًا أو حصانًا) وأراد أن يصل إلى مبتغاه في أسرع وقت ممكن، فأخذ يضرب دابته بقوة ويحثها على السير، حتى آذاها الضرب فسقطت منه في الطريق، فلا هو أبقى ظهره الذي يركبه، ولا هو وصل إلى مبتغاه.

الإوزة الذهبية



وبعد مثال النبي ﷺ نستطيع أن نقص عليك حكاية لطيفة؛ عن أسطورة الإوزة التي تبيض ذهبًا....

كان هناك فلاحًا فقيرًا، اكتشف يومًا بيضة ذهبية تحت إوزته، في البداية اعتقد

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (الدين يسر).

(٢) المنبت: الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البَتّ وهو القطع؛ أي صار منقطعًا لم يصل إلى مقصوده وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رَفَقَ به.

(٣) أخرجه أحمد من حديث أنس، ورواه البيهقي مرفوعًا من حديث جابر. واخْتُلِفَ في إرساله ووَصْلِه، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال.

أن الأمر خدعة وكاد يرميها جانبًا إلا أنه فكر في عرضها على صائغ البلدة، وكانت النتيجة أنها من الذهب الخالص!!

فشكر الله على هذه النعمة، وفي اليوم التالي زادت دهشته وعظمت سعادته عندما تكررت العملية. ويومًا بعد يوم كان يصحو ليهرع إلى الإوزة ليجد بيضة ذهبية أخرى، وأصبح في غاية الثراء.

ومع زيادة ثرائه ازداد طمعه وفرغ صبره من الانتظار يوما بعد يوم للحصول على بيضة ذهبية واحدة في اليوم، فقرر أن يذبح الإوزة ويأخذ (الآن) كل البيض الذهبي مرة واحدة، ولكنه عندما نفذ قراره لم يجد بها أي بيضة ذهبية، واكتشف أنه لن يحصل بعد ذلك على أي بيضة ذهبية؛ لأنه دمر الإوزة التي كانت تبيض البيض الذهبي.



هل أَوْضَحَ لك الحديث الشريف وتلك الحكاية ماذا نقصد بالفاعلية؟

إنها محصلة الإنتاج والكفاءة

فالكفاءة: هي القدرة على الإنتاج، هي أدوات الإنتاج نفسها، أما الفاعلية فهي محصلة الاثنين...

الفاعلية = الإنتاج × أدوات الإنتاج

الفاعلية الحقيقية تساوي في الحديث النبوي الدابة والوصول إلى الهدف ... وتساوي في الحكاية الذهبية الإوزة والبيضة، وتساوي في المصنع الآلة والمنتج، وتساوي في البيت ما تريد من الأولاد وعلاقتك بهم، أو ما يريد الزوج من زوجته وعلاقته بها.

تستطيع أن تكون كفؤًا في أي من المجالين؛ أن تنتج وتنتج وتنتج فهذه كفاءة على حساب أدوات الإنتاج

أن تراعي وتراعي وتراعي فهذه كفاءة على حساب الإنتاج نفسه.

أن تراعي وتحافظ على أدوات الإنتاج وفي نفس الوقت أن تنتج بأفضل شكل فهذه هي الفاعلية *Effectiveness*

أو كما قالوا : الكفاءة *Efficiency* هي أن تعمل الأشياء بالشكل الصحيح *doing things right*
والفاعلية *effectiveness* أن تعمل الأشياء الصحيحة
doing The right things

قانون توازن (أ/أأ)

وهو قانون الفاعلية التي تعني التوازن بين الإنتاج (أ)، والقدرة على الإنتاج، أو رعاية أدوات الإنتاج (أأ).

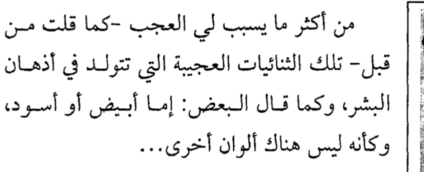
الفاعلية = (أ) الإنتاج × أأ (أدوات الإنتاج).
الفاعلية = الإنتاج × الكفاءة.
= نجاح (في العمل) سعادة (في الحياة)

إنه توازن بين ما هو مطلوب عاجلا، وما هو مرغوب آجلا...

بين فوائد المدى القصير، وما يمكن أن نحصل عليه على المدى الطويل.

الفاعلية = التوازن بين الإنتاج والكفاءة، بين الإنتاج والقدرة عليه، بين الإنتاج وأدواته.




من أكثر ما يسبب لي العجب -كما قلت من قبل- تلك الثنائيات العجيبة التي تتولد في أذهان البشر، وكما قال البعض: إما أبيض أو أسود، وكأنه ليس هناك ألوان أخرى...

ويزداد العجب عندما يكون هذا التطرف ناحية جهة معينة هو طبيعة تفكير المسلم؛ ذلك لأن الله -تعالى- وصف المسلمين بأنهم أمة وسطا.. يقول تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي حتى نقوم بمهمتنا في الكون من الشهادة على الناس والحضور بينهم؛ أي حتى تقوم أمة حضارة شاهدة مؤثرة لا بد أن نكون وسطًا، ولا تأخذنا إحدى الثنائيات ناحيتها.

ومن أكثر الثنائيات انتشارًا وسط المسلمين **ثنائية (الإخلاص والعمل)**.

فنجد في أقصى اليمين أناسًا وضعوا أيديهم على صدورهم، وعلقوا أعينهم على السماء في هيام شديد وهم يقولون: المهم هذا.. (يقصدون القلب)!!

أي أنهم مخلصون، متعلقون بالله، قلوبهم نظيفة.. فإذا نظرت إلى حالهم وجدتهم وقوفًا هكذا منذ زمن لم يتحركوا، وقد تكاثفت الحشائش على أجسادهم، وعشش العنكبوت بين سيقانهم.

ونجد في أقصى اليسار أناسًا تركوا كلَّ ما يتعلق بالله، وانطلقوا في سعي دؤوب يعملون ويعملون ويعملون، ولكنهم قد أفقدوا العمل روحه، فإذا سألتهم لِمَنْ تعملون؟ تتعثر الإجابة على ألسنتهم؛ لأنها قد خلت قلوبهم منها.

نقول لكم

إن التركيز على الإنتاج مع إهمال القدرة عليه هي الطريق إلى التوقف، وسيؤدي إلى إنتاج قصير المدى، وعطب أدوات الإنتاج والانهيار السريع.

أما التركيز على الأدوات دون الإنتاج فتؤدي إلى العقم ...

وأكاد أسمع ذلك الصارخ فيمَنْ يعظ الناس دون أن يعمل بما يعظ يقول: «**يا حَجَرَ الرَّحَى: حتى متى تَسِنُّ الحديدَ ولا تقطعُ**».

أو ذلك التلميذ الأبدي الذي يجمع علمًا على علم على علم، ولا يفيد الناس بما يعلم؛ بل ولا يؤثر فيه ما يعلم ... نقول له: حتى متى تجمع السلاح ولا تحارب.

الأمر يحتاج إلى التوازن بين الإخلاص والعمل.. والله -تعالى- في القرآن يكرر التوجيه علينا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: ٣٠).

وهكذا فإن الفاعلية في التعامل مع الله هي الإخلاص والعمل.



الآن كيف نحقق قانون الفاعلية؛ [التوازن بين (أ/ أأ)] في حياتنا؟

أظنك لن تفكر في تنفيذ هذا القانون إلا في شيء مادي من حياتك؛ سيارة مثلا، ماكينة في مصنعك. ولكن هناك ثلاثة أنواع من الموارد أو الأصول في حياتك لا بد أن توضع في الاعتبار عند التعامل مع هذا القانون:

١- موارد مادية.

٢- موارد مالية.

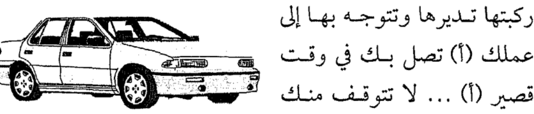
٣- موارد إنسانية.

والأمثلة كثيرة نكتشف فيها أي كم من الإوز نذبح يوميًا لنحصل على البيض الذهبي.

أولا: الموارد المادية

وهي أوضح الموارد، نأخذ مثالا منها...

سيارتك تقوم كل يوم من نومك خالي الذهن عنها، فإذا ركبتها تديرها وتتوجه بها إلى عملك (أ) تصل بك في وقت قصير (أ) ... لا تتوقف منك في الطريق (أ)، فإذا سألك أحد عن أخبار سيارتك تقول -بل وتفخر أحيانًا وبعدم مبالاة غالبًا-: إنها تعمل بكفاءة.



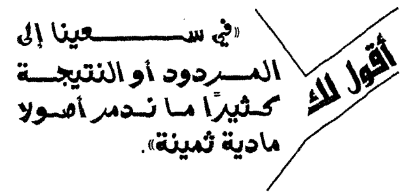
وقمت صباح اليوم متأخرًا عن موعدك، وكل مَنْ حولك متعجبًا لهدوئك؛ فأنت معروف بانضباطك فابتسمت لهم وأنت تقول: السيارة (أأ) تحت قدمي، وسأصل -إن شاء الله- في موعدي (أ)، وعندما وضعت المفتاح لتدير السيارة وأنت في قمة أناقتك...!!

ما هذه الأصوات التي تسمعها؟!! ما هذه الرائحة التي تشمها؟!! إن السيارة لا تدور !!

قد تفكر في وسيلة أخرى، ولكن تلك الأشياء الثقيلة المهمة الموجودة في سيارتك تحتاج إلى وقت لنقلها...

تذكرت الآن أنك منذ مدة طويلة لم تمر بالسيارة على مركز الصيانة الدورية (أأ).

نعم لقد كانت تعمل بكفاءة (أ)، ولكنها اليوم لا تعمل (أأ)...
إن الفاعلية هي (أ) × (أأ).

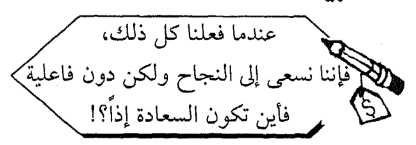


وبسرعة ... فلا وقت لدينا

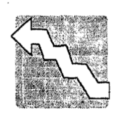
عندما انحشرت تلك الورقة في الطابعة في مكتبك، فقمت بإدخال مفك بين الأجزاء لإخراجها لأنك تريد إتمام عملك فلا وقت لديك ... **اعلم أنك ذبحت الإوزة الذهبية فانكسرت الأجزاء.**

عندما حَمَّلت الماكينة في مصنعك أكثر من طاقتها مع إهمال صيانتها لتحصل على أكبر قدر من الإنتاج لتغطية الطلبات التي أمامك؛ لتحصل على أكبر عائد فلا وقت لديك ... فإذا بالماكينة تتحشرج وترتفع درجة حرارتها ... وتقف!! **اعلم أنك ذبحت الإوزة الذهبية.**

عندما استخدمتِ الأدواتِ المنزليةَ (غسالة، ثلاجة،...) كما تحبين دون الرجوع إلى التعليمات الخاصة بها، فوضعت الطعام ساخنًا مثلا في الثلاجة، أو أضفت كمية أكبر من المطلوب إلى الغسالة فلا وقت لدينا، فتوقفت الأجهزة ... **اعلمي أنك ذبحت الإوزة الذهبية.**



ثانيًا: الموارد المالية (المكاسب)



وأدوات الإنتاج (أأ) هنا ليست ماكينة من حديد أو سيارة أو ثلاجة، ولكن أدوات الإنتاج هنا أهم وأخطر؛ بل هي الأخطر على الإطلاق.. إنها أنت!!

واسأل نفسك هذا السؤال:

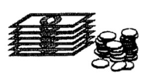
كم مرة اعتديت فيها على مبدأ للحصول على المال (أ)؟

والرسول ﷺ يقول:

«أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَة» (أأ)

والرسول ﷺ يقول:

«أيُّما جسدٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فالنَّار أوْلَى به» (أأ)



إن اهتمامك بالحصول على المال (أ) قد يكون على حسابك أنت (أأ).. احذر أن تكون أنت الإوزة الذهبية، فتذبح نفسك في النهاية.

فأهم أصولنا المادية التي يجب أن نحافظ عليها لنصل إلى الفاعلية هي (القدرة على الكسب)، فليس المال هو المستهدف في حَدِّ ذاته (أ)، وإنما المستهدف أن تتمتع وتسعد بهذا المال، وإلا فاستمع إلى رسول الله ﷺ يقول: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ**».[1]

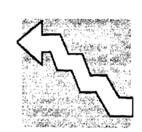
وهي أنواع من المال متعددة، وهي نتيجة واحدة لجعلها الهدف؛ هي التعاسة.

وإذا أصابه أي داءٍ فإنه لا ينجو منه أبدًا؛ لأنه في البداية قد فقد رعاية الله -تعالى-.. ثم إنه متى سيعالج نفسه؟ ومتى سيحاول الراحة؟ وكيف؟ والوقت يعني عنده مال ... وزوجته تعني عنده مال وأولاده وعلاقاته و...و...والكل يهون في سبيل المال... فأين الفاعلية (أ/ أأ)؟ بل أين الكفاءة (أ) وأنت فقدت حتى نفسك (أأ)؟ ثم أين السعادة؟



(١) رواه ابن ماجة، كتاب (الزهد)، باب (في المكثرين).

ثالثًا: الموارد الإنسانية



إنني قد أعني بها ما يطلق في علم الإدارة ويتداول بين المديرين باسم (الموارد البشرية) *Human Rescources* وقد أعني به ما يشتهر على ألسنة الناس باسم (فنون الاتصال والتعامل مع الآخرين) *Communication*... أو فنون العلاقات *Relationships*، قد أعني بها كل ذلك ولكن فوق ذلك أذكرك بما ذكرناه في بداية كتابنا هذا؛ أنه لو لم يكن هناك صدق في التعامل ورغبة أكيدة في التواصل، وعلاقات قائمة على المبادئ فأقل ما ستحصل عليه هو النجاح قصير الأجل... أو كما يقولون: (علاقة وتِعَدِّي)، أما مع مبدأ توازن (أ/ أأ)، أما عندما ترعى الإوزة الذهبية، فهنا ستحصل على النجاح طويل الأمد، ستحصل على متعة النجاح، ستحصل على السعادة.

وعلاقات ذهبيــــــة

والآن أين الإوزة والبيضة الذهبية في علاقتنا مع زوجاتنا وأولادنا والعاملين معنا؟

أ- مع زوجاتنا

ما هي البيضة، وما هي الإوزة؟

إلى مَنْ نذهب إذا أردنا أن نتعرف على العلاقة الزوجية؟

نعم ... إلى الله؛ لأنه هو الذي خلقنا وأمرنا بهذه العلاقة، ووضع لها ضوابطها والقواعد التي تقوم عليها.. يقول الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١].

والآن املأ هذا الجدول بعد فهمك للآية القرآنية السابقة

الفاعلية في الحياة الزوجية		
أ	البيضة	
أأ	الإوزة	

تريد الإجابة:

إن الإنتاج والكفاءة في حياتك الزوجية (أ) أن يكون البيت مستقرًا ...

- ألا تشعرون بذلك في بيوتكم؟ إن الطرف الآخر يسمع كلامك، يؤدي لك كل حقوقك، البيت مستقر، لا توجد مشاكل، لقد تحقق السكن، لقد حصلت على البيضة الذهبية (أ).

إذًا: فلماذا لا تشعرون بالسعادة؟

إذًا: فلماذا تعملون في بيوتكم كعامل الإطفاء التعس، كلما أطفأ حريقًا اشتعل غيره؟!!

لماذا ينفجر كل منكم في الآخر لأتفه الأسباب؟ لماذا هذا السر الكبير في حياة أحدكم ولا يُطْلِع الآخر عليه؟ لماذا هذه الكذبة فوق الكذبة فوق الكذبة؟ لماذا تجدون راحتكم في الحديث وإفراغ ما في الصدور لغير شريك حياتكم؟

ولماذا.. ولماذا.. ولماذا؟

لماذا البرود العاطفي يكاد يصيب أطراف الزواج بالشلل؟ حتى أصبح حسب تعبيركما (آهي عِيشَة والسلام)...

لأنكم لم ترعوا الإوزة (أأ)،لم تقيموا ما أراد الله لكم وما جعله بينكم.. المودة والرحمة (أأ)

إن المودة هي العلاقة الدافئة عندما يكون التفاهم والحب والتعلق والرضا، فإذا لم يكن شيء من ذلك (وقد يكون) فكيف تسير سفينة الحياة الزوجية، ولا بد لها أن تسير. إنهما اتجاهان:



في الخداع، والتركيز على الاحتياجات الخاصة والأنانية، والتربص للمواقف، وتبرير الأخطاء تمرض الإوزة، ولكنها قد تستمر تعطي البيض، يزداد مرضها، يتراجع الحب أكثر وأكثر ... تموت الإوزة.

ولكن ما الحل؟

إنها الرحمة ...

يقول الله -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

إنها الإحساس بالآخر وتقدير المشاعر، الملاطفات الصغيرة، العلاقة الحميمة.

إنه توازن (أ/ أأ) (السكن/ المودة والرحمة).. إنه متعة النجاح، إنها السعادة الزوجية.

ب- مع أولادنا

ما موقع الأولاد في منظومة السعادة؟ انظروا ماذا قال الله عنهم، وماذا سماهم ...

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤].

إن الذرية هي **قرة العين**، وهل تعني السعادة شيئًا أكبر من ذلك.

فما نتائج تحقيق قانون توازن (أ/ أأ) معهم، إنهم الإوزة (أأ) ... فما هي بيضتهم الذهبية (أ)؟ إنها ما نريد منهم؛ إنها جلوسك وسط الناس تقول: ابني مؤدب (أ) ... إنها تلك القُبْلَة التي طبعتها ابنتك على يدك وسط الناس، والكل ينظر في تقدير (أ)...

إنها ذلك الالتزام الدراسي والتفوق والوصول إلى قمة النجاح(أ)..

ولكن هل نحافظ على الإوزة؟

أَلَّفَ (إيان كفلر ودي جروتيمو) كتابًا اسمه (**عَلِّمْ صغارك الاستقامة والجرأة دون إكراه**)، يقول في مقدمته:

«تبدو فكرة إبقاء الأولاد في المقدمة بدون إكراه وكأنها فكرة عظيمة؛ فإننا في غالب الأحيان نعمل على تحويل أطفالنا إلى محترفين وراشدين عن طريق إلغاء لَهْو الطفولة».

إنهما يصرخان بشدة احترسوا حتى لا تموت الإوزة من إهمالكم لها، أو من استغلالكم لها، ويكشفان بوضوح خديعة الآباء تحت دعوى التربية..

(يعاني الوالدان؛ حيث إن الحاجة إلى الشهرة والمنافع المادية أو الاحترام الاجتماعي الذي يمكن الحصول عليه من خلال الإنجازات التي يحققها طفلهما لها الأفضلية على حاجات ذلك الطفل وأهدافه).

والآن أنت أحد والدين، أو أنتما أحد والدين:

إما متسلطا ... تريد أن تشق طريقك لتصل بسرعة إلى هدفك، هم الآن صغار، أنت الأقوى والأذكى، أنت على صواب،لِمَ لا تأمرهم، وتصرخ في وجوههم، وتتشدد في مواقفك؟

احذر؛ إنهم شديدو التبعية، وفي منتهى الهشاشة، وأنت تحطم

كل الجسور التي توصل إلى المرحلة التالية من النمو (الاستقلال).

وإما متساهل ... تريد أن تكون محبوبًا، تريد أن تحصل على البيضة الذهبية بهدوء، تريد أن ترفع شعبيتك معهم، بل -واحتمال- على حساب الطرف الآخر المتشدد ... أنت ترضيهم، تلبي لهم مطالبهم طوال الوقت ... إنهم يكبرون ولكن لا زال الطفل داخلهم لا ينمو. إن غذاء نمو الطفل إلى النضج هو المسئولية والالتزام. احذر؛ إنك من أجل الحصول على بيضة ذهبية (أ) تترك خلفك إوزة مريضة (أأ).

وأعراض ذلك المرض **في الطفولة**:

- عدم الإحساس بالمسئولية.
- عدم الانضباط.
- فقدان الثقة في القدرة على حسن الاختيار.
- فقد الثقة في القدرة على تحديد الأهداف وتحقيقها.

وفي المراهقة:

- الأزمة والعاصفة.
- فقدان وحدات تكوين الشخصية.
- تسيطر عليه خبراته السابقة معك سواء كنت مسيطرًا أو متساهلا.

إنك لا تضيف إليه بل تحكم عليه، إنك لا تهتم به كشخص ولكن كمنتج وديكور عائلي، لا يستطيع أن يشق بك في كل الظروف.

هل ستكون علاقته بك قوية بما يكفي للوصول إليه والتحدث معه والتأثير عليه؟

مثال:

نفرض أنك تريد أن تكون غرفة ابنتك نظيفة (أ).. إنتاج أو بيضة ذهبية.

وافرض أنك تريد منها أن تنظفها (أأ) (القدرة على الإنتاج).

فابنتك هي الإوزة؛ أي الأصل أو المورد البشري الذي ينتج البيضة.

فإذا كانت علاقاتك بها قائمة على توازن (أ/ أأ)، فستجدها تقوم بالعمل بكل سرور دون تركيز ... إنها ملتزمة، منضبطة، وتحافظ على التزامها، إنها إوزة قيمة.. قادرة على إنتاج بيض ذهبي؛ لأنك رعيتها، وتوازنت في التعامل معها.

أما إذا كان تركيزك كله على الإنتاج (أ)؛ أن تكون الغرفة نظيفة، ستصرخ ... وتهين.. وتهدد.. ستسعى بكل قوة وبلا وعي لتحصل على البيضة الذهبية، وفي طريقك للحصول عليها قد

تدوس على الإوزة وتقهرها تحت أقدامك، ستدمر صحة الإوزة، وبعد الحصول على البيضة ستعود إليها تحملها بين يديك، ودموع الندم تبحث عن وسيلة لاسترجاعها.

والآن.. كيف نحافظ على أولادنا؟

إنه التدريب المستمر دون ملل على كل مهارة...
والاتصال المستمر بكل فنونه وخاصة الجسدية...
والترابط المستمر حتى على البعد...
والغوص إلى الأعماق...
ووسيلة ذلك ك له الإصغاء الدائم ...
وفن توجيه النصيحة..
إنهم لا يريدون قادة يتقدمون مسيرتهم؛
بل يريدون أصدقاء يشاركونهم فيها.

ج - مع العاملين معنا.

سواء كنت رئيسًا أو مرؤوسًا، سواء كان عملا من أجل الكسب أو مشاركة من أجل الخير، كيف تتعامل مع مَنْ حولك؟

استمع إلى هذا الحوار.. (أظنه من داخلك)

- كيف أصحح أداء الموظفين الكسالى؟
- ألقِ عليهم قنبلة..(منهج التحسن أو الطرد).

- لِمَ لا تفعل ذلك مع زبائنك، وترفع شعار (إن لم يعجبك فانصرف)؟

- كيف؟ وهم زبائني، عندهم مكاسبي؟!!

- والآخرون موظفوك، يحملون إليك تلك المكاسب.

- إنهم في خدمتي، ويأخذون أجرًا.

- إذًا.. فالإخلاص بلا ثمن.

أقول لك

«احرص على أن تعامل موظفيك كما تريدهم يعاملون أفضل زبائنك».

والآن علق هذه الحكمة على الجدار المقابل لمكتبك، واقرأها قبل استدعاء أحد موظفيك.

تستطيع أن تستأجر يد شخص ما، ولكنك لا تستطيع أن تستأجر قلبه؛ ففي القلب يكمن حماسه، وولاؤه، ودعاؤه.

تستطيع أن تستأجر ظهره، ولكنك لا تستطيع أن تستأجر عقله؛ ففي العقل يكمن إبداعه، وبراعته، وذكاؤه.

ولا تنس

إن موظفيك يقدمون لك أفضل ما عندهم؛ قلوبهم وعقولهم.

هل تحتاج أن تتذكر الإوزة الذهبية، أن تدرك بكل وضوح أنك تعد سكينك لتحصل على البيض كله مرة واحدة؟ فاحذر ألا تجد إوزة تذبحها ... فقد ماتت!!

أما الزبائن ... فإليك

قصة بائع اللبن

إنه يطرق باب بيتنا يوميًا في دأب شديد، ويبيع لنا اللبن، كنا نستمتع بلبنه الوافر الدسم المليء بالخير، وفي يوم طرق بابانا بائع غيره، إنه شاب صغير... عذب الابتسامة ... قلت له: وأين...؟ ولم أكمل لقد ملأ الحزن وجهه وهو يقول: إنه مريض، ومرت الأيام..

وفي خجل شديد قال لي يومًا وأنا أشكره وأعتذر عن استلام اللبن: لماذا تمر الأيام ولا تأخذون منا اللبن؟ ابتسمت له وأنا ألحظ إشارات أبنائي أن أصرفه ...

وعلى باب بيتنا رأيته يمر وهو يلقي السلام عليّ، ناديته وسألته كيف حالك؟ سكت، قلت مبتسمًا: عندما زاد الماء على اللبن ذابت كل زبائنك... انطلق ولم يعقب.

التوازن صعب



نعم.. وخاصة مع هـذا المبـدأ (أ/ أأ). إن صعوبة التوازن بين البيضة الذهبية (الإنتـاج) وصحة ورفاهية الإوزة (القدرة على الإنتاج) غالبًـا مـا يكـون أمـرًا صـعبًا، لكنـه جـوهر الفاعلية ومفتاح النجاح، ومدخل السعادة.

فهو يوازن بين ما تريده على المـدى القصـير، ومـا تريـده على المدى البعيد...

هو يوازن بين السعي للحصول على الشـهادة ودفـع ثمـن الحصول على ثقافة ...

هو يوازن بين الرغبة في الحصول علـى قـرة العـين، وبنـاء علاقة مع طفل تجعله يلتـزم دون إلحـاح وصـراخ؛ بل بابتهاج ومسئولية وطواعية..

هو مبدأ يمكنك أن ترى مدى صـلاحيته في حياتـك الخاصـة؛ عندما تريد أن تصل إلى القمة وينتهي بك الأمر طريح الفراش مـن الإجهاد والإرهاق، وغير قادر على الابتهاج بأي شيء..

إنه إشعال الشمعة من كلا طرفيها...

أما حين تنام في موعدك وتستيقظ في الفجر تتلقى رزق ربك، وتخرج في الصباح جاهزًا للعمل طيلة اليوم فقد حققت التوازن.

وتستطيع أن ترى ذلك التوازن بين ذلك الضياع في الوقت والجهد لتصل إلى حبٍّ شخص لا يكاد يراك.

قد تنكر كل ما سبق وتسعى بلا وعي لجمع البيض الذهبي، ولكنك ستصطدم حتمًا بالمنارة ... نعم تَذْكُر قصة المنارة التي ذكرناها لك، فإن قانون التوازن (أ/ أأ) هو منارة من منارات الحياة، ولو أنكرَتْها البوارج والسفن الضخمة، وإذا لم تهتدِ بنورها فإنك حتمًا ستصطدم بها وتتحطم.



نعم إن فاعلية النجاح لا تأتي إلا من تلك العادات التي حدثناك عنها في الفصل السابق؛ عادات إدارة الذات، وعادات التفاعل مع الآخرين.

إنه ضوء يبرق مع ضياء سورة العصر، والمح معي تلك المنظومة الربانية من العادات ... وإلا الخسران **﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** [العصر: ١ – ٣].

أليس ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هي قمة عادات إدارة الذات؟

أليس ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾هي قمة عادات التفاعل مع الآخرين؟

أليس كل ذلك يحتاج إلى أن نتواصى بالصبر؟ صدق ربنا العلي الحكيم ...

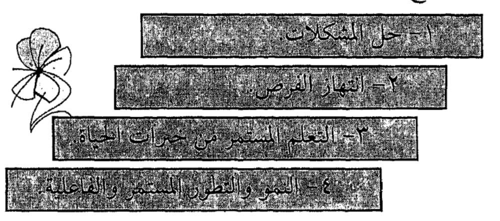
إن النضج الذي تحققه هذه العادات هو الوسيلة الأساسية للفاعلية، وتحقيق قانون التوازن حتى نصل ليس فقط إلى نجاح قريب ولكن إلى نجاح طويل المدى ليس لنحقق النجاح، ولكن لنستمتع به، لنصل إلى السعادة.

وحتى تكتمل الدائرة أذكِّركم...

حتى تؤدي عادات النجاح دورها، وتحولنا إلى فعَّالين، وتنقلنا إلى السعادة لا بد من أن تنطلق تلك العادات من المبادئ والقيم **﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**.

عادات النجاح المرتكزة على المبادئ تعمل على المدى الطويل، وتعطي أحسن النتائج، وتصبح جزءًا من الشخصية.

عندما تصبح تلك العادات جزءًا من شخصيتك، فإنها تمكنك من :

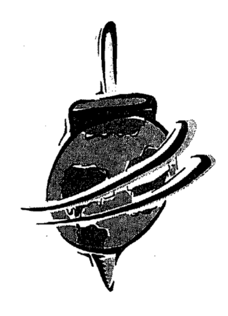




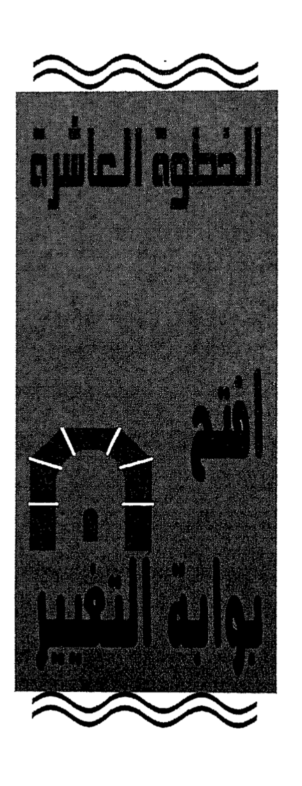
عندما تتدرب على عادات النجاح ستحصل على النجاح.

عندما تقوم تلك العادات على القيم والمبادئ ستحصل على متعة النجاح (السعادة).

عندما تصبح تلك العادات والقيم جزءًا من الشخصية ستحصل على الفاعلية؛ وهي ثمرات السعادة.




10


الخطوة العاشرة
افتح
بوابة التغيير



إن أكثر آيات القرآن إعطاءً للأمل المتجدد في الحياة هي قول الله -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١].

أتدرون مَنِ الله؟! إنه القوي العظيم، الفعال لما يريد، وهو بجلاله وعظمته يسلمنا مفاتيح التغيير، ويعلق إرادته -سبحانه وتعالى- وفعله ﴿**لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ**﴾ بإرادتنا نحن الضعفاء وفعلنا ﴿**حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾.

فما معنى التغيير؟ وهل المطلوب هو تغيير تصرفاتنا؟

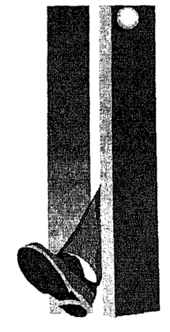
إنني يمكن أن أغير معاملتي لزوجتي وأولادي، لكن هذا التغيير حتى يكون دائمًا لا بد من تغيير يبدأ من داخلي، من مبادئ وأخلاق خاطئة إلى أخرى صحيحة. فتغيير الأشكال في التعامل ليس هو التغيير المطلوب، فممكن أن أصرخ في أولادي فتذكرني زوجتي وتقول لي: لا تصرخ، فأتذكر ولا أصرخ، فهذا التغيير تغيير في الموقف.. في التصرف، لكن هل هذا معناه فعلا أني غيرت طريقة تعاملي مع أطفالي؟

فالمهم ليس تغيير المواقف بل تغيير المبادئ، فهل عمر بن الخطاب عندما تغير كان مجرد تغيير شكلي؛ نعم.. لقد تحوَّل من

الشدة على الإسلام إلى الشدة في الإسلام هذا تغيير في الشكل وفي التعامل. إن الفرق أنه قبل الإسلام كان شديدًا بظلم، أما بعد الإسلام فقد كان شديدًا ولكن شدة مع عدل. فقضيتنا هي أن نغير من الظلم إلى العدل.

فالزوج الذي يتأخر في عمله ليس المهم ألا يتأخر ثانية عن زوجته؛ بل الأهم أن يشعر بالعطف والشفقة والرحمة بها على انتظارها في البيت له، فلو تغيرت المبادئ والأحاسيس التي في النفوس فإن كل التصرفات سوف تتغير؛ فلو أحس بالشفقة والرحمة بها فسوف يحاول عدم التأخير، وسوف يعاملها بطريقة أرق وأفضل.

هيا افتح بوابة التغيير



«وكلٌّ مِنَّا يحرس بوابة التغيير داخله ، ويملك مفاتيحها، فلا يمكن لأحد أن يفتح أبوابنا من الخارج لا بالإقناع العقلي ولا بالاستجداء العاطفي».

هيا افتح بوابة التغيير من داخلك؛ حتى تدخل عادات النجاح، وتحصل على متعة النجاح، وتعرف معنى السعادة.

فعندما تفتح بوابة التغيير:

١- سيكون نموك تطوريًّا، وسيحدث تأثيرًا ثوريًّا في شخصيتك وعلاقاتك.

٢- ستكون هناك زيادة ملموسة في الثقة بالنفس؛ فسوف تتعرف على ذاتك بطريقة أعمق، طبيعتك، قيمك العميقة، طاقاتك الفذة.

٣- سيأتي تقييمك لنفسك من داخلك؛ لأنك تعيش ذاتك وكيانك وقيمتك الخاصة، وهذا سيؤدي إلى السلام مع النفس والرضا عنها.

٤- سيقل اهتمامك برأي الآخرين فيك، أو مقارنة نفسك بغيرك، وبالتالي يزيد اهتمامك برأيهم في أنفسهم، وبالعالم من حولهم.

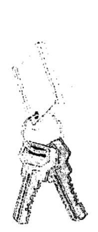
٥- ستتوقف عن بناء حياتك العاطفية على ضعف الآخرين.

٦- تستطيع الآن أن تبني علاقات جديدة وتحسِّن علاقات قديمة.

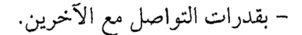
٧- ستدرك كيف تشحن بطارياتك وتقدر على ذلك.

٨- ستستبدل عادات الانهزامية بعادات الفاعلية.

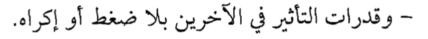
ذلك كله عن طريق عادات الانتقال من التبعية إلى الاستقلالية (عادات إدارة الذات).



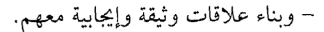
هيا افتح بوابة التغيير فأنت تملك المفاتيح؛ ليدخل الآخرون إلى عالمك، وتجول معهم في عالم لفاعلية والتعاون والتكامل.



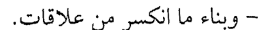
- بقدرات التواصل مع الآخرين.



- وقدرات التأثير في الآخرين بلا ضغط أو إكراه.



- وبناء علاقات وثيقة وإيجابية معهم.



- وبناء ما انكسر من علاقات.
- وزيادة متانة العلاقات الموجودة.
- وتوسيع مداها وإمكانياتها.

وذلك كله عن طريق عادات الانتقال من الاستقلال المرضي الذي انتهى مفعوله إلى التعاون والتكامل.. (عادات الشخصية الفعالة).

هيا افتح بوابة التغيير، وارفع الكثير من التراب الذي غطى على طريقها، وذلك عن طريق الضبط الذاتي، وتغيير السلوك السلبي الذي يقف أمام النجاح إلى سلوك إيجابي يعطيك متعة النجاح.

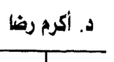
بالصبر.. افتح البوابة؛ فإن ما تحصل عليه بسرعة وسهولة لا تحرص عليه، ولكن تحرص على ما تتعب في الحصول عليه.

وتذكر
ولا تنسَ أبدًا



﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ونلتقي على خير وسعادة



الفهرس

مؤلفات د. أكرم رضا مرسي

الأسرة المسلمة في العالم المعاصر :

(البحث الفائز بجائزة مكتبة الشيخ / على بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية ، وزارة الأوقاف - قطر ، لعام ١٤٢١ هـ ، الموافق ٢٠٠٠م) .

سلسلة ((أولادنا)) :

١ - بلوغ بلا خجل .

٢ - مراهقة بلا أزمة : الجزء الأول «ترويض العاصفة».

٣ - مراهقة بلا أزمة : الجزء الثاني « فنون تربوية » .

٤ - شباب بلا مشاكل : الجزء الأول « رحلة من الداخل» .

٥ - شباب بلا مشاكل : الجزء الثاني «خصوصيات البنات» (تحت الطبع).

٦ - شباب بلا مشاكل : الجزء الثالث «ويسألوني».

سلسلة «إدارة الذات» :

١ - إدارة الذات «دليل الشباب إلى النجاح» .

٢ - بلا ندم : «كيف تحل مشكلاتك وتتخذ القرار الفَعَّال؟».

٣ - لقاء الجماهير : «برنامج الحديث الإقناعي وفن توصيل المعلومات» .

٤- برنامج تدريب المدربين «كيف تكون مدربًا مؤثرًا».
٥- متعة النجاح «حتى نعلم معنى السعادة».

سلسلة «المرأة وإدارة الذات»:

١ - جددي السفينة : «منطلقات القوة والصحة والجمال».
٢ - زينة المرأة حسن الخلق (الجزء الأول) .
٣ - زينة المرأة حسن الخلق (الجزء الثاني) .
٤ - درة التاج الثقافة :«كيف تكوني مثقفة فكرًا وعملاً وسلوكًا ؟».
٥ - الحلال الطيب : «مسؤوليات المرأة نحو العمل والكسب» .

سلسلة «بيوتنا وإدارة الذات» :

١- أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا «حوارات مع الزوجين».
٢- بالمعروف «حتى يعود الدفء العاطفي إلى بيوتنا».

- **موسوعة الأسرة المسلمة :** قواعد تكوين البيت المسلم «أسس البناء وسبل التحصين».
- **أبو مازن الصوت الساحر** «حياته وحوارات معه مع مجموعة الأناشيد الكاملة».
- **وذكرهم بأيام الله** «ستة أيام من أيام الله».
- **نظرات في الطب النبوي** «دراسة صيدلانية حول العقاقير النبوية».



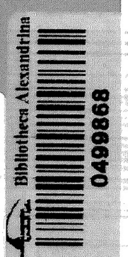
هذا الكتاب

هذا الكتاب حلقة من حلقات **إدارة الذات**، ولكنه في نفس الوقت يرتبط ارتباطًا أساسيًا مع الكتاب الأول في السلسلة **(إدارة الذات دليل الشباب إلى النجاح)** فيعتبر جزءًا ثانيًا له وإن كنا هناك قد بينا خطوات عشر سريعة للشباب من أجل أن يرتقي بذاته ليصل إلى النجاح، فإننا هنا سنقف معهم عند أول محطة من محطات النجاح نتساءل:

لماذا لا نشعر بالسعادة على الرغم من النجاح؟

وعندما ننتهي من هذه الحلقة من حلقات (إدارة الذات) سندرك بوعي أنه عندما نبدأ الإدارة من الداخل... عندما نتعامل مع الذات نكتشفها، نقودها، ننميها، عندها يكون النجاح مصدرًا للسعادة، عندها سنتذوق -ولأول مرة- متعة النجاح.

المؤلف





دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٥١ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com